الفصل الثاني

أثر الايمان فى حياة الفرد

هل نستطيع أن نحدد أهم ما يريده الفرد لنفسه ، وما ينشده فى حياته ؟ وما الذى تتطلع اليه نفسه ، ويسعى جاهدا لتحقيقه من الأهداف الكبيرة والغايات بعيدة المدى ؟

اننا نستطيع أن نحدد ذلك اذا نظرنا الى أنفسنا والى البشر من حولنا ، واستقراء أحوال البشر فى تاريخهم القريب والبعيد .. نستطيع أن نحدد ذلك اذا نظرنا الى الفرد كانسان سوى ، أى الانسان السليم وليس المختل المضطرب المشوش .

ان الفرد يريد أن يشعر بانسانيته ، ويحيا بخصائصها . يريد أن يحس بكرامته وذاتيته وأن له قيمة فى هـذا الوجود ، وأن لوجوده غاية ولحياته رسالة ، وأنه مخلوق متميز عن الكائنات الأخرى ، وأنه لم يخلق فى هـذه الأرض عبثا ، ولا أعطى العقل وعلم البيان اعتباطا .

فالفرد ينشـد الكرامة ، وينشـد معها القوة تجاه الطبيعة وتجاه الأحداث ، القوة أمام طغيان الغير وأمام شهوات النفس ، على حد سواء ، القوة على تحقيق الغايات وأداء الواجبات ، القوة التى تعوض الفرد عن ضعفه الجسدى وعجزه الخلقى وقصوره الذاتى ، ازاء الأقدار ، وازاء الموت ، وازاء المجتمع بقواه الكبيرة المتعددة المتنوعة .

وهو — مع هـذا — ينشد شـيئا آخر ، يلهث الناس جميعا فى البحث عنه : انه ينشد السعادة ، ينشدها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .. يريد أن يعيش حياته ناعما بسكينة النفس وطمأنينة القلب يريد أن يتمتع بالأمن الداخلى يغمر جوانحه ، وبالرضا الذاتى يملأ عليه اطار روحه ،

وبالأمل المشرق يضيء له آفاق حياته ، وبالحب الكبير يغمر بالنور والضياء كل حناياه وكل جوانب دنياه .

هـــذه هي أهم وأعظم ما ينشده الانسان السوى لنفسه ولكل من يحب من أهله وعشيرته ومن الناس .

أما الذين يريدون أن يعيشوا كالذئاب ، تعدو وتسطو وتتسلط على غيرها بمنطق القوة والسيطرة ، فليسوا مقياسا لكل البشر .. ومع هـــذا لا يبعد أن يفيق أحدهم أو يصـــحو ، ليفتش عن نفســـه : أين هي ؟ وعن ذاته : ما هو ؟ ويبحث مع البشر الأسوياء عن الكرامة والقوة . عن السعادة والسكينة ، عن المعاني الانسانية الرفيعة ، التي بدونها لا يجد الانسان ذاته ولا يتذوق لحياته طعما ، ولا يشعر لوجوده بمعنى أو قيمة .

فهل للايمان أثر في تحقيق هـــذه المعاني الكبيرة ، والأهداف العميقة في حيـــاة الفرد ؟ هـــذا ما سنحاول الاجابة عنه في الفقرات التاليـــة باذن الله .

١ ـــ الايمان وكرامة الانســـان :

قال تعـــالى :

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنـــاهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (الاسراء : ٧٠)

ان الانسان في نظر المؤمنين مخلوق كريم على الله ، خلقه ربه في أحسن تقويم ، وصوره فأحسن صورته ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وميزه بالعلم والارادة ، وجعـــله خليفته في الأرض ، ومحور النشاط في الكون ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، فكل ما في الكون له ولخدمته ـــ أما هو فجعله تعالى لنفسه .

يقول الله تعالى في بعض الآثار الالهية : « ابن آدم ، خلقتك لنفسي ، وخلقت كل شيء لك ، فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له .

ابن آدم ، خلقتك لنفسى فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب .
ابن آدم ، اطلبنى تجدنى ، فان وجدتنى وجدت كل شىء ، وان فتنى فاتك كل شىء . وأنا أحب اليك من كل شىء »[1] .

حقا ان الانسان شىء ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه . ولكنه من حيث روحه وكيانه المعنوى شىء كبير ، وهل الانسان فى الحقيقة الا ذلك الروح وذلك الكيان المعنوى ؟

حقا ان الانسان من حيث عمره القصير على الأرض ذرة فى صحراء الأزمنة الجيولوجية البعيدة الضاربة فى أغوار القدم . ولكن المؤمنين يوقنون أن الموت ليس نهاية الانسان ، انه محطة انتقال الى الأبد الذى لا نهاية له ، الى دار الخلود .. الى حيث يقال للمؤمنين :

﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ . (الزمر : ٧٣)

واذا كانت هذه كرامة الانسان فى نظر الدين عامة ، فله فى الاسلام خاصة مكان أى مكان . تحدث القرآن عن الانسان فى مئات من آياته . وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحى الالهى نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كانت خمس آيات لم تغفل شأن الانسان وعلاقته بربه ـ علاقة الخلق والتكريم ، علاقة الهداية والتعليم ، واختارت الآيات لفظ « الرب » لما يشعر به من التربية والترقية فى مدارج الكمال ، هذه الآيات الأولى فى القرآن هى قوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ ـ ٥)

وفى آيات كثيرة من سور شتى ، أوضح القرآن قرب الانسان من الله وقرب الله من الانسان ، ذلك القرب الذى حطم أسطورة الوسطاء والسماسرة المرتزقين بالأديان ، الذين جعلوا من أنفسهم « حجابا » على « أبواب » رحمة الله الواسعة ، والله يعلم انهم كاذبون . قال تعالى :

﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ (البقرة : ١٨٦)

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٣

● **الانسان فى نظر المؤمنين :**

ان الانسان فى نظر المؤمنين مخلوق كريم على الله ، خلقه ربه فى أحسن تقويم ، ونفخ فيـه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وميزه بالعلم والارادة ، وجعله خليفته فى الأرض ، ومحور النشـاط فى الكون • وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه ، فكل ما فى الكون له ولخدمته ، أما هو فجعله تعالى لنفسه •

وفى آيات كثيرة من سور شتى ، بين القرآن قرب الانسان من الله وقرب الله من الانسان قال تعالى :

﴿ ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ •
(البقرة : ١١٥)

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ • (ق : ١٦)

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا •• ﴾ (المجادلة : ٧)

ويؤكد رسـول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فى أحاديثـه عن ربه :

« أنا عند حسن ظن عبدى بى وأنا معـه اذا ذكرنى : اذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى • وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليـه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » • (رواه البخارى)

••• هذه مكانة الانسان عند الله •

● **مكانة الانسان فى الملأ الأعلى :**

أما مكانته فى الملأ الأعلى ــ عند العوالم الروحية العلوية ــ فهى مكانة اشرأبت اليها أعناق الملائكة المقربين ، وتطاولت اليها نفوسـهم

فما أوتوها . فإن الذى اختاره الله لهذه المكانة ـ خلافة الله فى الأرض ـ هو الانســان :

﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسـد فيها ويسـفك الدماء ونحن نسـبح بحمدك ونقدس لك ، قال : انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسـماء كلها ثم عرضـهم على الملائكة فقال انبئونى بأسـماء هؤلاء ان كنتم صـادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم انبئهم بأسـمائهم ، فلما أنبأهم بأسـمائهم قال : ألم اقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ .

(البقرة : ٣٠ ـ ٣٢)

وقد أراد الله أن يكرم هذا النوع من المخلوقات ويحتفى به ، ويظهر مكانه فى تلك العوالم الروحيـة ، فأمر الملائكة أن تؤدى التحيـة لهذا الكائن الجديد . وتستقبله بانحناءة اجلال واكبار . قال تعالى :

﴿ اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سـاجدين . فسـجد الملائكة كلهم أجمعـون . الا ابليس .. ﴾ .

(ص : ٧١ ـ ٧٤)

لقد تمرد ابليس على أمر ربه بالتحية لهذا الانسان ، ودفعه الحسد والغرور أن أبى واستكبر وكان من الكافرين . واتخذ من الانســان موقف التحدى والعداء ، فماذا كانت عاقبة هذا العدوان المبين ؟ كانت كما ذكر القرآن الكريم :

﴿ فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين ﴾ .

(ص : ٧٧ ـ ٧٨)

وتلك هى مكانة الانسان فى العوالم الروحية .

● مكانة الانسان فى هذا العالم المـادى :

أما مركز الانسان فى هذا الكون المـادى ، فهو مركز السـيد المتصرف الذى سخر كل ما فى هـذا العالم لنفعه ولاصـلاح أمره ، قال تعالى :

﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ .
(ابراهيم : ٣٢ – ٣٤)

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ . (الاسراء : ٧٠)

﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

(الجاثية : ١٢ ، ١٣)

﴿ الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ . (لقمان : ٢٠)

وتلك هى مكانة الانسان فى هذا الكون وصلته بما فيه :

وما الذى بوأ الانسان هذه المكانة السامقة وفى الكون أجرام أضخم منه وأكبر ؟

انه سر القبس الذى هو فيه من نور الله ، والنفخة التى فيه من روح الله . تلك النفخة التى جعلته مستعدا للخلافة فى الأرض ، مستعدا لحمل الأمانة الكبرى .. أمانة التكليف والمسئولية ، تلك التى صورها القرآن تصويرا أدبيا رائعا حين قال :

﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ . (الأحزاب : ٧٢)

هذا الاستعداد فى الانسان هو الذى جعل مصيره بيده ــ بعد أن يسر الله له سبل الهداية :

﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ . (القيامة : ١٤)

﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر** ﴾ . (الكهف : ٢٩)

﴿ **قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾ .

(الشمس : ٩ ، ١٠)

﴿ **ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها** ﴾ .

(الاسراء : ٧)

لقد سما الاسلام بالانسان فاعترف به كله ، روحه وجسده وعقله وقلبه ، ارادته ووجدانه ، غرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة .. لم يضع فى عنقه غلا ، ولا فى رجله قيـــدا ، ولم يحرم عليـــه طيبا ، ولم يغلق فى وجهه باب خير ، ولم يدعه للمتاجرين بالدين يتلاعبون به ، بل خاطبه خطابا مباشرا :

﴿ **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك. فى أى صــورة ما شاء ركبك** ﴾ . (الانفطار : ٦ - ٨)

﴿ **يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** ﴾ .

(الانشقاق : ٦)

هذه صورة سريعة واضحة التقاسيم لمكانة الانســـان كما رســـمها القرآن الكريم ، وقد أشاد بهذه المكانة الانسانية كل أئمة الاســـلام وعلمائه فى مختلف البيئات والاختصاصات .

يقول الفقيه أبو بكر بن العربى : « ليس لله تعالى خلق أحســـن من الانسان ، فان الله تعالى خلقه حيا عالمـــا ، قادرا ، متكلما ، ســـميعا بصيرا ، مدبرا ، حكيما »(١) .

ويقول الامام ابن القيم(٢) : « اعلم ان الله سبحانه وتعالى اختص نوع الانسان من بين خلقه بأن كرمه وفضـــله وشرفه ، وخلقه لنفســـه

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٧

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين ـ جـ ١ ـ مطبعة السنة المحمدية ، ص ٢١٠ .

وخلق له كل شيء ، وخصه من معرفته ومحبته وقربه واكرامه بما لم يعطه غيره ، وسخر له في سماواته وأرضه وما بينهما ، حتى ملائكته — الذين هم أقل قربة — استخدمهم له ، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته .. وأنزل اليه وعليه كتبه ، وأرسله وأرسل اليه ، وخاطبه وكلمه منه واليه .. فللانسان شأن ليس لسائر المخلوقات » .

● **عزة الايمان بعد عزة الانسانية :**

هذه هي معاني الكرامة والعزة التي تغرسها العقيدة في قلب المؤمن باعتباره « انسانا » ، ولكنه بوصفه « مؤمنا » يشعر بمعان أعمق ، وعزة أشمخ ، ويسمو به ايمانه الى سماء عالية لا يطار لها على جناح ولا يسعى اليها على قدم .

وهو بوصفه عضوا في أمة الايمان — يشعر بكرامة أكبر وعزة أخرى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. ﴾ . (آل عمران : ١١٠)

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس .. ﴾ .
(البقرة : ١٤٣)

﴿ هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .
(الحج : ٧٨)

يشعر المؤمن بالعزة التي سجلها الله في كتابه للمؤمنين مقرونة بالعزة لنفسه ولرسوله :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ﴾ . (المنافقون : ٨)

ويشعر بأنه كتب له الكرامة والحرية التي بها يعلو ولا يعلى عليه ، ويسود ولا يساد :

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ .
(النساء : ١٤١)

ويشعر أنه فى ولاية الله البر الكريم ، ولاية المعونة والنصرة ، والرعاية والهداية :

﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ .

(محمد : ١١)

﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ﴾ .

(البقرة : ٢٥٧)

يشعر المؤمن أنه فى معية الله الذى يكلؤه دوما بعينه التى لا تنام ، ويحرسه فى كنفه الذى لا يرام ، ويمده بنصره الذى لا يقهر :

﴿ .. وأن الله مع المؤمنين ﴾ . (الانفال : ١٩)

﴿ .. وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ . (الروم : ٤٧)

﴿ ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴾

(يونس : ١٠٣)

ويشعر المؤمن أنه فى حماية الله القوى القدير ، يذود عنه ، ويرد عن صدره سهام الكائدين والمعتدين :

﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ .

(الحج : ٣٨)

والقرآن يجعل المؤمنين مقياسا لصلاح الأعمال أو فسادها ، فحكمهم عند الله معتبر ، ورؤيتهم للأعمال مقرونة برؤية الله ورسوله :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .. ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

واذا كانت هذه الآية توحى بأن رضا المؤمنين من رضا الله ، فان مقتهم أيضا من مقت الله سبحانه :

﴿ .. كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا .. ﴾ . (غافر : ٣٥)

ان هذه المعانى الكبيرة ، والمشاعر الرفيعة ، اذا سرت فى كيان فرد جعلت منه انسانا عزيزا كريما ، كبير النفس ، وطيد الآمال ، انسانا لا يحنى رأسه لمخلوق ، ولا يطأطىء رقبته لجبروت أو طغيان أو جاه ، شعاره هذه الكلمة : « سيد فى الكون ، عبد الله وحده » .

لا عجب بعد هذا ، اذا رأينا عبدا أسود كبلال بن رباح ، حين يشرب قلبه الايمان ، يتيه على « السادة » المتكبرين فخرا ، ويرفع رأسه عاليا ، فقد صار بالايمان أرفع عند الله ذكرا وأسمى مقاما ، ينظر الى « أمية بن خلف » و « أبى جهل » وغيرهما من زعماء قريش وصناديد مكة ، نظرة البصير للأعمى ، نظرة السائر فى النور الى المتخبط فى الدجى:

﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ . (الأنعام : ١٢٢)

﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ . (الملك : ٢٢)

● منزلة الانسان :

فالعقيدة الاسلامية قد حددت منزلة الانسان فى هذا الكون منذ قال تعالى للملائكة :

﴿ انى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ . (البقرة : ٣٠)

كما ذكرنا من قبل ، فهو نوع منفرد من مخلوقات الله ليس بجماد ولا نبات ولا بحيوان ، ولا بملاك ولا بشيطان . انه مخلوق مكرم فريد مسئول ، لا يقوم وحده فى هذا العالم ، بل يقوم بارادة رب أوجده وقدره . اله خلقه فى أحسن تقويم ، وعلمه البيان ، ووهب له السمع والبصر والفؤاد ، ليس الانسان عبدا ولا مقهورا لشىء فى هذا الكون ، الا انه عبد الله وحده .

هذا فى عقيدة الاسلام ، أما النظرة المادية فلم تنظر للانسان على أنه مخلوق كريم أوجده خالق عظيم . كلا ، بل هو نبات (شيطانى) برز من العدم الى الوجود وحده ، يعيش وحده ، ويموت وحده ، وبموته تختتم روايته كلها .

ان هذه النظرة المادية للانسان أنتجت شعورين مختلفين :

الأول : شعور الانسان بالتفاهة والضياع ونظرته الى نفسه نظرة حيوانية بحتة .

والثاني : شعور الغرور والكبر ، ذلك الشعور الذى ينتهى بالانسان الى حد تأليه نفسه حين يسقط وجود الاله الحق من اعتباره ، ويتصرف وكأنه اله لا يسأل عما يفعل .

● غاية الانسان :

ان غاية الانسان ومهمته فى الحياة قد أوضحتها عقيدة الاسلام . فالانسان لم يخلق عبثا ، ولم يترك سدى ، وانما خلق لغاية وحكمة . لم يخلق لنفسه ، ولم يخلق ليكون عبدا لعنصر من عناصر الكون ، ولم يخلق ليتمتع كما تتمتع الأنعام ، ولم يخلق ليعيش هذه السنين التى تقصر أو تطول ، ثم يبلعه التراب ويأكله الدود ويطويه العدم .

انه خلق ليعرف الله ويعبده ، ويكون خليفة فى أرضه .. خلق ليحمل الأمانة الكبرى فى هذه الحياة القصيرة : أمانة التكليف والمسئولية ، فيصهره الابتلاء وتصقله التكاليف ، وبذلك ينضج ويعد لحياة أخرى هى حياة الخلود والبقاء والأبد الذى لا ينقطع .

انه لنبأ عظيم حقا أن يكون هذا الانسان لم يخلق لنفسه ، وانما خلق للحياة الخالدة الباقية ، خلق للأبد !

لقال الماديون : « ان الانسان يعيش لنفسه ومتاع دنياه » .

أما المؤمنون فقالوا : « انما يعيش الانسان لربه الأعلى ، ولحياته الباقية الأخرى » .

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق ﴾ . (المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦)

ما أعظم الفرق بين الذى يعيش لنفسه والذى يعيش لربه ، بين من

يعيش لدنياه المحدودة ومن يعيش لوجود غير محدود بزمان ولا مكان ! وحسبنا قول القرآن الكريم :

﴿ والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم ﴾
(محمد : ١٢)

٢ ــ الايمان والسـعادة :

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل انسان ــ من الفيلسوف في قمة تفكيره وتجريده ، الى العامي في قاع سذاجته وبساطته ، ومن الملك في قصره المنيف ، الى الصعلوك في كوخه الصغير . ولا نحسب أحدا يبحث عن الشقاء لنفسه ، أو يرضى بتعاستها .

ولكن السؤال الذي حير الناس من قديم هو : أين السعادة ؟

لقد طلبها الأكثرون في غير موضعها ، فعادوا صفر اليدين ، مجهودي البدن ، خائبي الرجاء !

أجل جرب الناس في شتى العصور ألوان المتع المادية ، وصنوف الشهوات الحسية ، فما وجدوها ــ وحدها ــ تحقق السعادة أبدا ، وربما زادتهم ــ مع كل جديد منها ــ هما جديدا .

● هل السعادة في النعيم المادي ؟

لقد ظن ذلك قوم ، فحسبوا السعادة في الغنى ، وفي رخاء العيش، ووفرة النعيم ، ورفاهية الحياة ، ولكن البلاد التي ارتفع فيها مستوى المعيشة ، وتيسرت فيها لأبنائها مطالب الحياة المادية وكماليات عديدة ، لا تزال تشكو من تعاسة الحياة ، وتحس بالضيق والانقباض ، وتبحث عن طريق آخر للسعادة .

ان ما يخص الفرد في السويد من الدخل القومي يساوي حوالي ٥٠ جنيها شهريا . ووصل نظام الحكم الاشتراكي هناك الى ما يقارب محو الفروق تماما بين الطبقات ، يفرض الضرائب التصاعدية وايجاد مختلف التأمينات الصحية والاجتماعية ، التي لا تجدها دول أخرى .

والتعليم فى جميع مراحله بالمجان مع تقـديم اعانات للطلاب • وتقـدم الدولة هناك قروضـا ميسرة للشباب فى بداية حياتهم الزوجيـة لتأثيث المنازل •

ومع هذه الضمانات كلها ، فقد اتضح أن الناس هناك يحيون حياة قلقة مضطربة ، كلها ضيق وتوتر وشـكوى وسـخط ، وتبرم ويأس • ونتيجة هذا أن يهرب الناس من هذه الحياة الشـقية النكدة ، عن طريق « الانتحار » الذى يلجأ اليه الألوف من الناس ، تخلصـا مما يعانونه من عذاب نفسى أليم •

وينطبق نفس القول على أمريكا ، وهى أغنى بلاد العالم ، فالحياة فى أكبر مدنها غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء •

فكثرة المـال ليست هى السعادة ، ولا العنصر الأول فى تحقيقها ، بل ربما كانت كثرة المـال أحيانا وبالا على صـاحبها فى الدنيا قبـل الآخرة ـ ولذا قال الله تعالى فى شأن قوم من المنافقين :

﴿ فلا تعجبـك أموالهم ولا اولادهم ، انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ﴾ • (التوبة : ٥٥)

وفى الحديث النبوى الشريف ما يفيد هذا المعنى : روى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من كانت الآخرة همه جعل الله غنـاه فى قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة • ومن كانت الدنيـا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شـمله ، ولم يأته فى الدنيـا الا ما قدر له » •

والفيلسوف البريطانى المعاصر « برتراندراسل »[1] ـ رغم نظرته المـادية ـ يقرر أن الانسـان فى صراعه مع الطبيعة قد انتصر بواسطة العلم • أما فى صراعه مع نفسه ، فلم يحرز نصرا ، ولم يجده سـلاح العلم ، ويعترف بأن الدين لم يزل هو صاحب هذا الميدان •

---

(١) المرجع السابق : ص ٧٢

والواقع أنه يوجد الآن فى ميدان من ميادين العلم من الظواهر ما يؤجج شعلة ذلك الضلال ، ونعنى به تعظيم شأن الفكر ، ومع ذلك كان علماء النفس هم الذين توصلوا الى أن الاعتماد المطلق على التفكير فحسب كفيل بهدم سعادة الانسان وان لم يقوض دعائم نجاحه ، ثم أن اماطة اللثام عن هذا الكشف لم تتم الا من خلال تجارب العلماء واختباراتهم العلمية التى أجروها على الآلاف .. بقى أن نقول : ان الوصول الى هذه المكتشفات قد تم بالنسبة لعلاقتها بطرق التعليم والدين ، والشخصية ، وفلسفة الحياة عموما[1] .

● **السعادة فى داخل الانسان :**

السعادة اذن ليست فى وفرة المال ، ولا سطوة الجاه ، ولا كثرة الولد ، ولا نيل المنفعة ، ولا فى العلم المادى . فالسعادة شىء معنوى لا يرى بالعين ، ولا يقاس بالكم ، ولا يشترى بالمال أيا كان نوعه وقيمته . السعادة شىء يشعر به الانسان بين جوانحه .. صفاء نفس ، وطمأنينة قلب ، وانشراح صدر ، وراحة ضمير . وهى شىء ينبع من داخل الانسان ولا يستورد من خارجه . فسعادة الانسان فى ايمانه ، وايمانه فى قلبه ، وقلب الانسان لا سلطان لأحد عليه غير ربه .

هذه هى السعادة الحقة ، السعادة التى لا يملك بشر أن يعطيها ، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها .

السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال : « اننا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف » .

والذين رزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وان برقت ورعدت ، ويبتسمون للحياة وان هى كشرت عن نابها ويفلسفون الألم وهو يستحيل عندهم الى نعمة تستحق الشكر ، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى ، كأنما عندهم غدد روحية خاصة مهمتها أن تفرز مادة معينة تتحول بها كوارث الحياة الى نعم .

---

(١) المرجع السابق : ص ٧٣

● **القدر المـادى اللازم لتحقيق السعادة :**

لا نجحد أن للجانب المـادى مكانا فى تحقيق السعادة • كيف ؟ وقد قال رسـول الاسلام صلى الله عليه وسلم : « من سعادة ابن آدم : المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح » • (رواه أحمد) •

بيد أنه ليس المكان الأول ولا الأفسح ، والمدار فيه على الكيف لا على الكم ، فحسب الانسان أن يسلم من المنغصات المـادية التى يضيق بها الصـدر ، وأن يمنح الأمن والعافية ، ويتيسر له القوت فى غير حرج ولا اعنات • وما أصدق وأروع الحديث النبوى الشريف : « من أصبح آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قـوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » • (رواه البخارى)

واذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية والقلب الانسانى ، ان الايمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها وغذاؤها وضياؤها •• فلقد فجر الايمان فى قلب الانسان ينابيع السعادة ، ولا يمكن أن تتحقق السعادة بغيرها • تلك هى ينابيع السكينة ، والأمن والأمان ، والأمل ، والرضا ، والحب •• وسنخص كلا منها بالحديث على الصفحات التالية :

● **سـكينة النفس :**

﴿ هو الذى أنزل السـكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ • (الفتح : ٤)

ان سكينة النفس ـ بلا ريب ـ هى الينبوع الأول للسـعادة ، ولكن كيف السـبيل اليها اذا كانت شيئا لا يثمره الذكاء أو الصـحة أو القوة أو المـال والشهرة أو غير ذلك من نعم الحياة المـادية •

اننا نجيب مطمئنين : أن للسكينة مصدرا واحدا أساسـيا ، هـو الايمان بالله واليوم الآخر ، الايمان الصادق العميق الذى لا يكدره شك أو يفسـده نفاق •

وهذا ما يشهد به الواقع المـاثل أمامنا ، وما أيده التاريخ الحافل ، وما يلمسه كل انسان بصير منصف فى نفسه وفيمن حوله •

لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا هم المحرومون من نعمة الايمان متعة اليقين .

ان للسكينة مصدرا واحدا ـ دون سواه ـ هو الايمان بالله واليوم الآخر ، ذلك الايمان الصادق العميق ، ان هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الايمان ، وشجرة التوحيد الطيبة التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها .. فهى نعمة من السماء ونفحة غالية ينزلها الله على قلوب المؤمنين من البشر ليثبتوا ويرضوا اذا اضطرب غيرهم ، ويصبروا اذا جزع الناس .

هذه السكينة هى التى غمرت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، فلم يعره هم أو حزن ، ولم يستبد به خوف أو وجل ، ولم يخالج صدره شك أو قلق :

﴿ فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا ﴾ . (التوبة : ٤٠)

لقد غلبت على صاحبه الصديق مشاعر الحزن والاشفاق ، لا على نفسه وحياته ، بل على الرسول ، وعلى مصير الرسالة ، حتى قال والأعداء محدقون بالغار : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ! فيقول الرسول مثبتا فؤاده : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ؟

هذه السكينة روح من الله ، ونور ، يسكن اليه الخائف ، ويطمئن عنده القلق ، ويقوى به الضعيف ، ويهتدى به الحيران .. هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله على المؤمنين من عباده ، فيذيقهم بعض ما قدموا من خير ، ويريهم نسوذجا صغيرا لما ينتظرهم من نعيم ، فينعموا من هذه النسمات بالروح والريحان والسلام والأمان .

● أسباب السكينة لدى المؤمن :

قد تتساءل : لماذا كان المؤمن أولى الناس بسكينة النفس وطمأنينة القلب ؟ ولماذا لا يجد الانسان السكينة فى العلم والثقافة والفلسفة وفيما أنتجه التقدم العلمى من وسائل يسرت العيش ؟

والجواب عن ذلك يحتاج الى شيء من التفصيل ، لبيان الأسباب والسنن النفسية التى جعلت المؤمن ــ دون غيره ــ أحق الناس بالسكينة والاطمئنان .. واليك البيان :

أولا ــ استجابة المؤمن لنداء الفطرة متسقة كل الاتساق :

ان أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه قد هدى الى فطرته التى فطره الله عليها ، وهى فطرة متسقة كل الاتساق مع فطرة الوجود الكبير كله . فعاش المؤمن مع فطرته فى سلام ووئام .

ان فى فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة ، وانما يملؤها الايمان بالله جل وعلا .

وستظل الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ ، حتى تجد الله ، وتؤمن به ، وتتوجه اليه . فهناك تستريح من تعب ، وترتوى من ظمأ ، وتأمن من خوف . هناك تحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق . فاذا لم يجد الانسان ربه ــ وهو أقرب اليه من حبل الوريد ــ فما أشقى حياته ، وما أتعس حظه ، وما أخيب سعيه !

ثانيا ــ فى القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله :

وفيه وحشة لا يزيلها الا الأنس بالله . وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته . وفيه قلق لا يسكنه الا الفرار اليه .

وفيه نيران وحسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك لحين لقائه . هذا كلام نابع من الفطرة البشرية الأصيلة التى لا تجد سكينتها الا فى الاهتداء الى الله والايمان به ، والالتجاء اليه .. انها الفطرة التى لم يملك مشركو العرب فى جاهليتهم أن ينكروها مكابرة وعنادا .

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ . (العنكبوت : ٦١)

وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات . وقد تنحرف أو تتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء . وقد يصاب الانسان بداء الغرور فيظن نفسه شيئا يقوم وحده ، ويستغنى عن الله !!

بيد أن هذه الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت ، وتكمن ولا تزول . فاذا أصاب الانسان من شدائد الحياة ما لا قبل له به ، ولا يد له ولا للناس فى دفعه ، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة وتبرز الفطرة العميقة الكامنة . وينطلق الصوت المحبوس ، داعيا ربه ، منيبا اليه ، قال تعالى :

﴿ واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ﴾ .

(الاسراء : ٦٧)

هذه الفطرة حقيقة أجمع عليها الباحثون فى تاريخ الأمم والأديان والحضارات ، وقد وجدوا الانسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن بالله ، حتى قال أحد كبار المؤرخين : « لقد وجدت فى التاريخ مدن بلا قصور ولا مصانع ولا حصون ، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد »[1] .

والانحراف الكبير الذى أصاب البشرية فى تاريخها الطويل ، لم يكن بانكار وجود الله والعبودية له ، وانما كان بتوجيه العبادة لغيره أو اشراك آلهة أخرى معه من مخلوقات الأرض أو السماء .

ولهذا كانت مهمة رسل الله كافة فى جميع العصور ، هى تحويل الناس من عبادة المخلوقات الى عبادة الخالق ، وكان نداؤهم الأول الى قومهم :

﴿ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . (النحل : ٣٦)

﴿ اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾ . (هود : ٦١)

(جاءت على لسان نوح وهود وصالح وشعيب فى سور شتى)

---

(١) المرجع السابق : ص ٨٠

ومن هنا عنى القرآن الكريم فى الدرجة الأولى بالدعوة الى توحيد الله ، وافراده بالعبادة ، والاستعانة والتوكل والانابة ، لا باثبات وجوده سبحانه ، فان هذا الوجود ـ على وجه عام مسلم به .

ان الذى يعنينا هنا هو أن الانسان لا يستطيع أن يعيش من غير ايمان ، ولا أن يحيا بغير اله يعبده ويعظمه ويقدسه ويخافه ويرجوه ، ويتوكل عليـه .

ثالثا ـ اهتداء المؤمن الى سر وجوده :

ان فى أعماق كل انسان أصواتا خفية تناديه وأسئلة تلح عليـه منتظرة الجواب الذى تطمئن به النفس . ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاءا ؟ ومن صنعهما ؟ كيف بدءا ؟ ما هدفهما ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعـد هذه الحياة ؟ هل يوجد شىء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟

هذه الأسئلة التى ألحت على الانسان منذ خلق ، وستظل تلح عليه الى أن تطوى صفحة الحياة لم تجد ـ ولن تجد ـ لها أجوبة شـافية الا فى الدين . فالدين وحده هو الذى يحل عقدة الوجـود الكبرى ، وهو المرجع الوحيد الذى يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسـئلة بما يرضى الفطرة ، ويشفى الصـدور .

والاسلام ـ خاصـة ـ خير دين أجاب عن هـذه الأسـئلة اجابة شافية ، ترضى الفطرة النيرة والعقل السليم . ولقد أعلن القرآن الكريم أن هذا الدين هو الفطرة الأصيلة ذاتها :

﴿ فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ .
(الروم : ٣٠)

تقول الفطرة والعقل : ان الناس لم يخلقوا من غير شىء ، ولم يخلقوا هم أنفسهم ، ولم يخلقوا ذرة فى الأرض أو السماء ، قال تعالى :

﴿ أم خلقـوا من غير شىء أم هم الخالقـون . أم خلقوا السموات والأرض .. ﴾ . (الطور : ٣٥ ، ٣٦)

وتقول الفطرة والعقل : لابد ــ اذن ــ من خالق لهذا الانســان العجيب ، ولهذا الكون العريض . ولابد أن يكون هذا الخالق واســع العلم ، بالغ الحكمة ، نافذ المشــيئة ، عظيم القــدرة . قال تعــالى :

﴿ ذلكم الله ربكم ، خالق كل شيء، لا اله الا هو ، فانى تؤفكون. كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون . الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين ﴾ . (غافر : ٦٢ ــ ٦٤)

وتقول الفطرة والعقل : « ان هذا الخالق الحكيم لابد أن يكون وراء تنظيمه لهذا الكون ، ووضع الانسان فيه غاية وحكمــة ، وتعالت حكمته أن يكون خلق هذا كله عبثا . يقول القرآن :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . وما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ . (الدخان : ٣٨ ، ٣٩)

وهذا الحق الذى به خلقت الســموات والأرض هو ما يستشــفه العقل وتحس به الفطرة ــ وان يكن احساسا غامضا ــ أن لهذا الانسان فى الوجود رسالة ، وأن وراء هذه الحياة ــ حياة الابتلاء والفنــاء ــ حياة أخرى ، هى الغاية واليها المنتهى ، يجزى فيها المحسن باحســانه والمسيء باساءته ، حتى لا يســتوى الخبيث والطيب ، والبر والفاجر ، وهذا ما تقتضيه الحكمة . ويقول القرآن الكريم :

﴿ وما خلقنــا الســماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار . أم نجعــل الذين آمنــوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ .

(ص : ٢٧ ، ٢٨)

﴿ افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ﴾

(**المؤمنون** : ١١٥)

ويوضح القرآن الغاية من خلق الســموات والأرض عامة ، ومن خلق الجن والانس خاصــة :

﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ﴾ .
(الطلاق : ١٢)

﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ . (الذاريات : ٥٦ ، ٥٧)

بهذه الأجوبة القرآنية اهتدى المؤمن الى سر وجوده ، ووجود العالم كله . لقد عرف الله فعرف به كل شىء وحل به كل لغز ، واهتدى به الى كل خير . فالعالم مملكة الله سبحانه ، وكل ما فيه من آثار رحمته ، والانسان خليفة الله فى أرضه ، خلق لعبادة الله ، وتحمل الأمانة ، والحياة هبة من الله ، والموت قدر من الله ، والدنيا مزرعة لطاعة الله ، والآخرة موعد الحصاد والجزاء من الله . والسعيد من اهتدى بهدى الله ، والشقى من أعرض عن ذكر الله . والانسان مسئول فى هذه الدار الفانية ، ليصقل ويعد لخلود فى تلك الدار الباقية ، والموت هو القنطرة التى تصل ما بين الدارين .

وتتضمن سكينة النفس ما يأتى :

(أ) نجاة المؤمن من الحيرة والشك :

فبهذا الايمان البسيط العميق الذى جاء به الوحى ، وأيده العقل ، واقتضته الفطرة ، وشهد له كل سطر ، بل كل كلمة فى كتاب الوجود المفتوح ــ سلم المؤمن من الشك والاضطراب ، واستراح من البلبلة والحيرة ، الذهنية والنفسية ، التى يتجرع منها الجاحدون المرتابون .

بهذا الايمان الواضح المريح ، استطاع المؤمن أن يحل ألغاز الوجود الكبرى ، حين عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه ، وغايته وهدفه ، فانحلت عقد الشك من نفسه ، وزالت علامات الاستفهام الكبيرة من حياته .

لقد عرف أن له ربا ــ هو رب كل شيء ــ هو الذى خلقه فسواه ، وكرمه وفضله ، وجعله فى الأرض خليفة ، وكفل له رزقه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، فاطمأن الى ربه ، ولاذ بجواره ، واعتصم بحبله ، فأوى بهذا الايمان الى ركن شديد ، ولاذ بقرار مكين ، واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

وعرف أن هذه الحياة القصيرة التى يعيشها الناس ممزوجة الخير بالشر ، والعدل بالظلم ، والحق بالباطل ، واللذة بالألم ، ليست هى الغاية ، ولا اليها المنتهى . انما هى مزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى ، تجزى فيها كل نفس بما كسبت ، وتخلد فيما عملت . فاستراح المؤمن بذلك من التساؤل العريض عن الحياة والموت ، وما سرهما ؟ واستراح المؤمن من ذلك حين علم وأيقن أنه خلق للخلود الأبدى ، وانما ينقله الموت من طور الى طور ، أو من دار الى دار .

وعرف المؤمن انه لم يخلق فى هذه الحياة عبثا ، ولم يترك سدى فبعث الله اليه رسله بالبينات ، هداة ومعلمين ومبشرين ومنذرين ، ليهتدى الناس الى الحق ، ويعرفوا ما يرضى الله فيتبعوه ، وما يسخطه فيتقوه ، وليقيموا بين الناس موازين القسط ، وليكونوا أمثلة رفيعة ــ تحس وترى ــ يتخذها الناس أسوة لصالح الاعمال ومكارم الأخلاق .

وعرف المؤمن أنه ليس غريبا على الكون الكبير من حوله ، ولا معزولا عنه ، انه بايمانه لم يعد وحده ، وان الكون كله معه ، ففطرة هذا الكون هى الايمان ، هى التسبيح والسجود للرب الأعلى . الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى :

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا ﴾ .

(الاسراء : ٤٤)

(ب) وضوح الطريق والغاية عند المؤمن :

يعيش غير المؤمن فى الدنيا تتوزعه هموم كثيرة ، وتتنازعه غايات

شتى ، فهو فى صراع دائم داخل نفسه ، كما أنه فى حيرة بين غرائزه الكثيرة ..

وقد استراح المؤمن من هذا كله ، وحصر الغايات كلها فى غاية واحدة عليها يحرص واليها يسعى ، وهى رضوان الله تعالى ، ولا يبالى معه برضى الناس أو سخطهم .

كما جعل المؤمن همومه هما واحدا ، هو سلوك الطريق الموصل الى مرضاته تعالى والذى يسأل الله فى كل صلاة عدة مرات أن يهديه اليه ، ويوفقه لسلوكه :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ . (الفاتحة : ٦)

وهو طريق واحد لا عوج فيه ولا التواء :

﴿ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ . (الأنعام : ١٥٣)

(ج) أنس المؤمن بالوجود كله :

والمؤمن يعيش موصولا بالوجود كله ، ويحيا فى أنس به ، وشعور عميق بالتناسق معه والارتباط به . فليس هذا الكون عدوا له ، ولا غريبا عنه ، انه مجال تفكيره واعتباره ، ومسرح نظره وتأملاته ، ومظهر نعم الله وآثار رحمته .

هذا الكون الكبير كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن ، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن .. والمؤمن ينظر اليه نظرته الى دليل يهديه الى ربه .. بهذه النظرة الودود الرحبة للوجود ، تتسع نفس المؤمن ، وتتسع حياته ، وتتسع دائرة الوجود الذى يعيش فيه .

فليس هناك أوسع من صدر المؤمن وقلبه الذى وسع العالمين ، المنظور وغير المنظور ، عالم الشهادة وعالم الغيب ، ووسع الحياتين : الدنيا والآخرة ، حياة الفناء ، وحياة الخلود ، ووسع الوجودين : الوجود الأزلى الأبدى ، ووجود الله جل جلاله .

هذه حقيقة ثابتة ، وسنة ماضية ، منذ أهبط الله آدم وزوجته الى الأرض ثم قال لهما :

﴿ فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ﴾ . (طه : ١٢٣ ــ ١٢٤)

النفس المؤمنة نفس رحبة واسعة ، كيف لا وهى تعيش فى وجود سعته السموات والأرض ، والدنيا والآخرة ، والأزل والأبد ؟

سئل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن قوله تعالى :

﴿ افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ﴾ .

(الزمر : ٢٢)

فقال : « ان النور اذا دخل فى القلب اتسع وانفسح »(١) .

فالقلب يتسع وينفسح وينشرح بنور الايمان واليقين ، كما يضيق وينكمش بظلمة الالحاد والشك والنفاق :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ . (الأنعام : ١٢٥)

ان المؤمن يعيش فى سعة من نفسه وقلبه ، ولو لم يكن فى سعة من عيشه ، فطبيعة الايمان توسع النفس والقلب والحياة ، لأنه يصل صاحبه بالوجود كله ، ظاهره وباطنه ، علويه وسفليه ، وما يبصر منه وما لا يبصر . ماضيه وحاضره ومستقبله . يصله بالسموات والأرض ومن فيهن . يصله بالملائكة وحملة العرش والقوى الروحية من جنود الله التى لا يعلمها الا هو . يصله بحملة النور الالهى ، وأصحاب الرسالات السماوية من لدن آدم أبى البشر الى محمد صلى الله عليه وسلم ، يصله بالصديقين والشهداء والصالحين من كل أمة ، ومن كل

---

(١) المرجع السابق : ص ١٠٠

عصر •• يصله بالآخرة والبعث والحساب والجنة والنار • وباختصار ، يصله بالوجود ورب الوجود والأول والآخر ، والظاهر والباطن •

فالنفس المؤمنة نفس رحبة واسعة ، وكيف لا وهى تعيش فى وجود سعته السموات والأرض ، والعرش والكرسى ، والدنيا والآخرة ، والأزل والأبد ؟

النفس المؤمنة رحبة واسعة ، لأنها تعيش فى نور يهديها سبيلها ويكشف لها من حولها • ومن شأن النور أن يوسع الدائرة التى يحيا فيها الانسان ، على عكس الظلام ، فان الذى تكتنفه الظلمة لا يرى ما حوله ولا من حوله ، بل لا يرى نفسه • فاذا قوى هذا النور ، وانتشرت أشعته العريضة ، أضاء له دائرة أوسع ، وعلى قدر قوة هذا النور ، وقوة الابصار عند الانسان ، تكون سعة الدائرة التى يدركها البصير •

(د) المؤمن يعيش فى معية الله :

فالمؤمن لا يعتريه ذلك المرض النفسى الوبيل ، الذى يفتك بالمحرومين من الايمان ، ذلك هو مرض الشعور بالوحدة المقلقة ، فيحس صاحبه أن الدنيا مقفلة عليه ، وأنه يعيش وحيدا فريدا منعزلا عما حوله وعن الآخرين ، كأنه بقية غرقى سفينة ابتلعها اليم ، ورمت به الأمواج فى جزيرة صغيرة موحشة يسكنها وحده ، لا يرى الا زرقة البحر وزرقة السماء ، ولا يسمع الا صفير الرياح وهدير الأمواج •

وقد اتفق المختصون على أن هذا المرض من أخطر الأمراض النفسية ، لما يجلبه على صاحبه من شعور بالعزلة وفقدان للثقة بمن يتعاملون معه • فأينما التفت لا يجد غير نفسه •• فهل يستطيع مثل

هذا الانسان أن يعمل وأن ينتج ، أو أن يظل محتفظا بوعيه وقدرته على التركيز والفهم ؟

لم يدخر علماء النفس وسعا فى البحث عن علاج ناجع لهذا المرض ، فأجروا تجارب عديدة ، وحاولوا محاولات جادة ، حتى انتهى رأى المنصفين منهم الى أن العلاج الأمثل لهذا المرض هو اللجوء الى الدين ، والاعتصام بعروة الايمان الوثقى ، حتى يشعر المريض بمعية الله والأنس به ... فهذا الايمان القوى هو خير دواء لعلاج هذا المرض الخطير ، كما أنه خير وقاية من شره .

قال أحد علماء النفس : « مهما بلغ شعورك بوحدة نفسك فاعلم أنك لست بمفردك أبدا . فاذا كنت على جانب من الطريق فسر وأنت على يقين من أن الله يسير على الجانب الآخر »(1) .

واعتقاد المسلم أكبر من هذا وأعمق . انه يؤمن أن الله معه حيثما كان ، وليس على الجانب الآخر من الطريق . ان الله سبحانه يقول فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى »(2) . ويقول فى كتابه العزيز :

﴿ فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم ﴾ . (محمد : ٣٥)

ان شعور المؤمن بأن يد الله فى يده ، وأن عنايته تسير بجانبه ، وأنه ملحوظ بعينه التى لا تنام ، وأنه معه حيث كان ، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف ، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٠٢

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٢

كيف يشعر بالوحدة من يقرأ فى كتاب ربه :

﴿ ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم ﴾ . (البقرة : ١١٥)

﴿ وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير ﴾ .
(الحديد : ٤)

انه لا يشعر الا بما شعر به موسى — عليه السلام — حين قال لبنى اسرائيل :

﴿ ان معى ربى سيهدين ﴾ . (الشعراء : ٦٢)

وما شعر به محمد — صلى الله عليه وسلم — فى الغار حين قال لصاحبه :

﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ . (التوبة : ٤٠)

ان شعور المؤمن بمعية الله وصحبته دائما يجعله فى أنس دائم بربه ، ونعيم موصول بقربه ، يحس دائما بالنور يغمر قلبه ، ولو أنه فى ظلمة الليل البهيم ، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وان كان فى وحشة من الخلطاء والمعاشرين .

(هـ) المؤمن يعيش فى صحبة النبيين والصديقين :

المؤمن لا يشعر أنه فى عزلة عن اخوانه المؤمنين . انهم — ان لم يكونوا معه فى عمله أو مسجده أو داره — يعيشون دائما فى وجدانه وضميره ويحيون فى فكره .. فهو اذا صلى — ولو منفردا — تحدث باسمهم قائلا :

﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ . (الفاتحة : ٥)

واذا دعا دعا باسمهم قائلا :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ . (الفاتحة : ٦)

واذا ذكر نفسه ذكرهم قائلا : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » . (التشهد) .

وانه لأوسع مدى من أن يعيش مع مؤمنى عصره وحدهم ، بل انه ليتخطى الأجيال ويخترق العصور والمسافات ويحيا مع المؤمنين وان باعدت بينه وبينهم السنون والأعوام ويقول ما قال الصالحون .

﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ .

(الحشر : ١٠)

والمؤمن يشعر أنه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع أنبياء الله ورسله المقربين ، ومع كل صديق وشهيد وصالح من كل أمة وفى كل عصر :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا ﴾ .

(النساء : ٦٩)

وأى انسان أسعد ممن يرافق هؤلاء ويرافقونه ؟ انها ليست مرافقة جسد وصورة ، ولكنها مرافقة روح ووجدان ، وفكر وقلب ، وكفى أنه « معهم » . ولا يحسبن امرؤ من الناس أن مرافقة هؤلاء للمؤمن شىء هين ضئيل ، أو أمر خيالى ، فانه لفرق كبير بين انسان تاريخه هو تاريخ شخصه أو أسرته ، فهو قريب القاع ، سطحى الجذور ، وانسان تاريخه هو تاريخ الايمان والهدى من عهد آدم ، تاريخه هو تاريخ النبيين أولى العزم ، ومن غيرهم من أصحاب الرسالات منذ بعث الله رسولا وأنزل كتابا .

فهو يستلهم هذا التاريخ المؤمن الحافل بالأحداث وما عرض له من مشكلات ، ويجد فيه الأسوة والهداية كما يجد فيه السلوى والعزاء ، والأنس والود ، ومن كل ذلك يأخذ الزاد لفكره ، والنور لقلبه ، والمدد لارادته .

● الصلاة والدعاء من بواعث السكينة :

ومن أسباب السكينة النفسية التى ينعم بها المؤمنون ما يناجى به المؤمن ربه كل يوم من صلاة ودعاء .

فالصلاة لحظات ارتقاء روحى يفرغ المرء فيها من شـواغله الدنيويه ليقف بين يدى ربه ومولاه ، ويثنى عليه بما هو أهله ، ويفضى اليه بذات نفسه داعيا متضرعا . وفى الاتصال بالله العلى الكبير قوة للنفس ، ومدد للعزيمة ، وطمأنينة للروح .

لهذا جعل الله الصلاة سلاحا للمؤمن يستعين بها فى معركة الحياة ويواجه بها كوارثها وآلامها ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصـلاة ، ان الله مع الصـابرين ﴾ . (البقرة : ١٥٣)

فالصلاة تشعرك بأنك لست منفردا بحل مشـكلاتك وهمومك . فما أقل من يسعهم احتمال أثقل الأحمال وأعسر المشـكلات منفردين ، وكثيرا ما تكون مشكلاتنا ماسة أشد المساس بذواتنا فنأبى أن نذكرها لأقرب الناس الينا ، ولكننا يسعنا أن نذكرها للخالق عز وجل فى الصلاة والدعاء .

أى سكينة يشعر بها المؤمن حين يلجأ الى ربه وقت الشدة ، فيدعوه بما دعا به محمد ــ عليه السلام ــ من قبل :

« اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، وأعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ، فليس دونك شيء ، اقض عنى الدين ، واغننى من الفقر » . (رواه مسلم)

٤ ــ الرضـا :

« ان الله عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح فى الرضا واليقين ، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك » . (حديث شريف)[1] .

---

(١) الايمان والحياة : مرجع سابق : ص ١٠٩

وفى هذا الحديث الشريف كشف عن حقيقة نفسية باهرة ، فكما أن سنة الله قد ربطت الشبع والرى بالطعام والشراب فى عالم المـادة ، فان سـنته تعالى فى عالم النفس والروح قد ربطت الفرح والروح — وبعبارة أخرى يطمئن الى يومه وحاضره ، وبيقينه بالله والآخرة ، يطمئن الى غده ومسـتقبله • ومن غير المؤمن فى رضاه عن يومه ، ويقينـه بغده ، كما ربطت سـنة الله الغم والحزن بالسخط والشك •

فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعما ، فان حياتهم كلها سـواد ممتد ، وظلام متصل ، وليل حالك لا يعقبه نهار ولا يرتقب له فجر صـادق • وقد ربط الحديث النبوى الكريم بين السخط والشك وهما متلازمان •• فلا سخط من غير شك ، ولا شك من غير سخط •

ان المؤمن قد تصيبه الكآبة ، وقد يعتريه الحزن ، ولهذا قال الله تعالى لرسـوله الكريم :

﴿ **ولا تحزن عليهم** •• ﴾ • (النمل : ٧٠)

﴿ **ولا يحزنك قولهم** •• ﴾ • (يونس : ٦٥)

ولكن حزن المؤمن لغيره أكثر من حزنه لنفسه ، واذا حزن لنفسـه فلآخرته قبل دنياه ، واذا حزن لدنياه ، فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف ، سرعان ما ينقشع اذا هبت عليه ريح الايمان • حتى النفوس المنقبضة والطبائع المتشائمة ينشر الايمان عليها من ضـيائه واشراقه ، فيبدد كثيرا من ظلامها ويخفف كثيرا من انقباضها ويطارد أسباب السخط والتشـاؤم من وجودها •

أما المرتاب فى الله والآخرة ، فهو يعيش فى مأتم مسـتمر ومناحة دائمة • لأنه يعيش فى سخط دائم وغضب مستمر •• ساخط على الناس سـاخط على نفسه ، ساخط على الزمان والدنيا بأسرها ، ساخط على كل شىء •• فينوح على دنياه ، ويولول على وجوده •

ان شعور الانسان بالرضا من أول أسباب السكينة النفسـية التى هى سر السـعادة •

وفى الحديث النبوى الشريف :

« ومن سعادة المرء استخارته ربه ، ورضاه بما قضى . ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء » .

(رواه البزار وأحمد والترمذى)

فكل أمر مقدور يكتنفه أمران : الاستخارة قبل وقوعه ، والرضا بعد وقوعه ، والسعيد من جمع بينهما . وذلك هو المؤمن . والشقى من حرمهما . المؤمن يسأل الله قبل اقدامه على أمر من الأمور أن يهديه الى أرشد الأعمال وأهدى السبل ، ومن الأدعية التى علمها لنا الرسول الكريم :

« اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فيسره لى ، وبارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » . (رواه البخارى)

والمؤمن وحده هو الذى يغمره الاحساس بالرضا بعد كل قدر من أقدار الله..فالمؤمن هو الذى يحس تلك الحالةالنفسية التى تجعله مستريح الفؤاد ، منشرح الصدر ، غير متبرم ولا ضجر ، أو ساخط على نفسه وعلى الحياة . ومنشأ ذلك رضاه عن وجوده الخاص فى نفسه ، وعن الوجود العام من حوله . ومبعث هذا وذلك رضاه عن مصدر الوجود كله ، وينبوع هذا الرضا هو الايمان بالله رب العالمين .

الرضا نعمة روحية جزيلة ، هيهات أن يصل اليها جاحد بالله ، أو مرتاب فى جزاء الآخرة ، انما يصل اليها من قوى ايمانه بالله وحسن اتصاله به وقد خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله :

« فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى » .

(طه : ١٣٠)

وامتن عليه بقوله :

« ولسوف يعطيك ربك فترضى » . (الضحى : ٥)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » . (رواه أحمد ومسلم)

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله :

﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ . (البينة : ٨)

(أ) المؤمن راض عن نفسه وعن ربه :

المؤمن راض عن نفسه ، أعنى عن وجوده ومكانه فى المكون ، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة ، ولا كما مهملا ، ولا شيئا تافها ، بل هو قبس من نور الله ، ونفخة من روح الله ، وخليفة فى أرض الله .

وهو راض عن ربه ، لأنه آمن بكماله سبحانه وجماله ، وأيقن بعدله ورحمته ، واطمأن الى علمه وحكمته .. أحاط سبحانه بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ووسع كل شيء رحمة ، فلم يخلق شيئا لهوا ولم يترك شيئا سدى ، له الملك ، وله الحمد ، نعمه عليه لا تعد ، وفضله عليه لا يحد ، فما به من نعمة فمن الله ، وما أصابه من حسنة فمن الله ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ، يردد دائما هذا الثناء الذى ردده من قبل أبونا ابراهيم خليل الرحمن :

﴿ **الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** ﴾ . (الشعراء : ٧٨ — ٨٢)

المؤمن موقن تمام اليقين أن تدبير الله أفضل من تدبيره لنفسه . ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به . ينظر فى الأنفس والآفاق فيرى آثار بره تعالى ورحمته ، فيناجى ربه :

﴿ **بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير** ﴾ . (آل عمران : ٢٦)

فالخير بيديه ، والشر ليس اليه ، وما يظنه الناس شرا فى الوجود ليس هو شرا فى الحقيقة . واذا كان لابد من تسميته شرا ، فانما هو

شر جزئى خاص مغمور فى جانب الخير الكلى العام • وهذا الشر الجزئى ؛ أو الشر الموهوم ، اقتضاء التكافل بين أجزاء الوجود •

(ب) المؤمن راض عن الكون والحياة :

تتيجة لما سبق ، فالمؤمن راض عن الحياة والكون من حوله ، لأنه يعتقد أن هذا الكون الفسيح من صنع الله الذى أتقن كل شىء :

﴿ **الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** ﴾ • (طه : ٥٠)

وكل ذرة فى الأرض أو السماء تدل على حكمة حكيم وتقدير عزيز عليم ؛ ورعاية رب كريم رحيم •

والمؤمن — كما قال الامام الغزالى : « يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ، أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم ، وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم ، وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ، ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور ، وأطلعهم على أسرار الملكوت ، وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات ، حتى اطلعوا به على الخير والشر ، والنفع والضر ، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت ، بما أعطوا من العلوم والحكم ، لما اقتضى تدبير جميعهم من التعاون والتظاهر عليه ، أن يزاد فيما دبر الله سبحانه ، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر ، عمن بلى به ، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع ، عمن أنعم الله به عليه • بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض — ان رجعوا فيها البصر ، وطولوا فيها النظر — ما رأوا فيها من تفاوت ، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل ، وسرور وحزن ، وقدرة وعجز ، وايمان وشك ؛ وطاعة ومعصية •• فكله عدل محض لا جور فيه ، وحق كامل لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى ، وليس فى الامكان أصلا أحسن منه ولا أفضل ولا أكمل • ولو كان ادخره — مع القدرة —

ولم يتفضل به لكان بخلا يناقض الجود ، وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية »[1] .

فما عرفه المؤمن من حكمة الله فى خلقه ، وأسراره فى كونه ، فبها ونعمت . وما خفى عليه وكله الى عالمه ، وقال فى تواضع أولى الألباب :

﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك** ﴾ . (آل عمران : ١٩١)

لهذا نرى المؤمن راضيا عما قدر الله له ، وما قضى الله فيه .

(ج) المؤمن عميق الاحساس بنعم الله عليه :

ان مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم ، ويحرمهم لذة الرضا ، أنهم قليلو الاحساس بما يتمتعون به من نعم غامرة ، ربما فقدت قيمتها بألفها ، أو بسهولة الحصول عليها ، وهم يقولون دائما : ينقصنا كذا وكذا ونريد كذا وكذا ، ولا يقولون : عندنا كذا وكذا .

ولكن المؤمن عميق الاحساس بما لله عليه من فضل عميم ، واحسان عظيم ، ونعم تحيط به عن يمينه وعن شماله ، ومن بين يديه ، ومن خلفه . انه يشعر بنعمة الله عليه منذ كان فى المهد صبيا : بل منذ كان فى بطن أمه جنينا . كان صبيا وليدا لا سن له تقطع ، ولا يد له تبطش ، ولا قدم له تسعى ، فأجرى الله له عرقين رقيقين فى صدر أمه ، يجريان لبنا خالصا ، كامل الغذاء ، وألقى الله محبته فى قلب أبويه ، فلا يطيب لهما طعام ولا شراب ، ولا يهنأ لهما عيش حتى يكفياه ما أهمه ويدفعا عنه كل سوء .

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه فى كل شىء حوله ، ويرى فى كل ذرة فى الأرض أو فى السماء منحة من الله له ، تيسر له معيشته . وتعينه على القيام برسالته فى الحياة . انه يرى نعمة الله فى هبة

---

(١) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين « كتاب التوكل » ــ القاهرة : الحلبى ــ ص ٢٢٢

الريح ، وسير السحاب وتفجر الأنهار ، وبزوغ الشمس ، وطلوع الفجر ، وضياء النهار ، وظلام الليل وتسخير الدواب ، وانبات النبات .. ولنقرأ فى مثل هذا قول الله تعالى :

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . (لقمان : ٢٠)

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (الجاثية : ١٢ ، ١٣)

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون . سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » . (يس : ٣٣ — ٣٦)

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .
(القصص : ٧١ — ٧٢)

« .. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الله لغفور رحيم » .
(النحل : ١٨)

وهكذا يرى المؤمن — بتوجيه كتاب الله — آثار رحمة الله ونعمته فى كل شىء حوله . أما نعمة الله عليه فى شخصه هو فما أعظمها وما أغزرها !

فأولها : نعمة الخلق ، ولولا مشيئته وفضله لبقى الفرد فى ظلمة العدم ، ولم يكن شيئا مذكورا :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » .
(الانسان : ١ ، ٢)

وثانيها : نعمة الانسانية .. فقد شاء الله سبحانه أن يخلقه بشرا سويا ، ويستخلفه فى الأرض ، ويفضله على كثير من خلقه :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ . (الاسراء : ٧٠)

ويتبع ذلك حسن الصورة الحسية المعنوية :

﴿ لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ﴾ . (التين : ٤)

﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ . (التغابن : ٣)

وثالثها : نعمة الادراك والعلم :

﴿ اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ﴾
(العلق : ٢ — ٥)

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، لعلكم تشكرون ﴾ . (النحل : ٧٨)

وهذه الميزات الثلاث هى أدوات العلم ومداركه .

ورابعها : نعمة البيان النطقى والخطى :

﴿ الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان ﴾ .
(الرحمن : ١ — ٤)

﴿ الذى علم بالقلم ﴾ . (العلق : ٤)

﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ﴾ . (القلم : ١)

وخامسها : نعمة الرزق :

﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض .. ﴾ . (فاطر : ٣)

﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض ، قل الله .. ﴾ .
(سبأ : ٢٤)

وسادسها : وهذا خاص بالمؤمن ـ نعمة الايمان والهداية الى صراط الله المستقيم :

﴿ .. ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة ﴾ . (الحجرات : ٧ ، ٨)

﴿ يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ﴾ . (الحجرات : ١٧)

وسابعها : نعمة الأخوة والمحبة :

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾ . (آل عمران : ١٠٣)

﴿ وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم ﴾ . (الأنفال : ٦٣)

ولقد كان محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد الناس احساسا بنعمة الله وفضله فى كل شئونه . ولذا نراه اذا تناول طعامه ـ وان كان من خشن الخبز وجاف الشعير ـ تناوله تناول الراضى الشاكر ، ويقول فى ختام الطعام : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » واذا شرب الماء القراح قال : « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » . واذا ركب دابة قال ما علمه الله اياه :

﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا الى ربنا لمنقلبون ﴾ . (الزخرف : ١٣ ، ١٤)

واذا استيقظ من نومه قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد أن أماتنا واليه النشور » .

واذا تم له أمر على ما كان يبغى ويريد قال : « الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » .

وإذا خاب له رجاء أو حدث له ما يكره قال : « الحمـد لله على كل حال » .

وإذا استقبل وجه الصباح قال « اللهم انى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر . فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة . اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك .. فلك الحمد ولك الشكر »[1] .

فهذا هو شعور المؤمن دائما وشعور الذاكر لنعمة الله ، الشاكر لفضل الله :

﴿ وما بكم من نعمة فمن الله .. ﴾ . (النحل : ٥٣)

﴿ .. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها .. ﴾ . (ابراهيم : ٣٤)

ولا عجب ان كانت أول آية فى كتـاب الله الكريم ـ بعـد البسملة ـ آية تشعر المؤمنين أبدا بنعمة الله واحسـانه وتوجههم الى حمده وشكره ، تلك هى آية فاتحة الكتاب :

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . (الفاتحة : ٢)

ولا غرو ان جعل الاسلام تلاوتها فريضة يومية يكررها المسلم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة فى صلواته الخمس .

(د) المؤمن راض بما قدر الله عليه :

المؤمن كما يغمره الشعور بنعمة الله عليـه فى كل حين وفى كل حال ، لا يفقد هذا الشعور وان أصـابته البأسـاء والضراء : وهزته زلازل الحياة .

انه راض بما قضى الله له ، وما قدر عليه ، ايمانا بأن الله تعالى لا يفعل شـيئا عبثا ، ولا يقضى أمرا يريد به عسرا لعباده ، وأنه ـ

---

(١) الايمان والحياة « مرجع سابق » ، ص ١١٧

سبحانه ـ أرحم بهم من الوالدين بأولادهم : وأن الخير مطـوى فى جوف ما نظنه شرا وما نكرهه بطبيعتنا البشرية :

﴿ .. فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ .

(النساء : ١٩)

ولقد لمس كثير ممن خالط المسلمين من الغربيين آثر هذا الجانب الاعتقادى ـ جانب الرضا بالقضاء ـ فى نفس المسلم ، واستقباله لكوارث الحياة وآلامها ، بنفس لا تتضعضع ، وقلب لا يتحطم .

(هـ) المؤمن راض بما قسم له من رزق :

والمؤمن راض بما قسم له من رزق ، وما قدر له من مواهب ، وما وهب له من حظ لأنه مؤمن بعدل الله فيما قسم من أرزاق ، وبحكمته فيما وزع من مواهب ، وبفضله ورحمته فيما وهب لعباده من حظوظ . وهذا هو معنى « القناعة » التى حث عليها الدين ، وأشاد بها الحكماء والصالحون .

فالحق أن القناعة تعنى أساسا بأمرين :

أولهما : أن الانسان بطبيعته شديد الطمع والحرص على الدنيا ، لا يكاد يشبع منها أو يرتوى ، وقد صور ذلك الحديث النبوى الكريم:

« لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لابتغى ثالثا . ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب » . (البخارى)

وكان لابد للدين أن يهديه الى الاعتدال فى السعى للغنى والاجمال فى طلب الرزق ، وبذلك يضمن التوازن فى نفسه وفى حياته ، ويمنحه السكينة التى هى سر السعادة ، ويجنبه الافراط والغلو الذى يرهق النفس والبدن ، ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب : فان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، وان أبطأ عليها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب . خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم » . (رواه ابن ماجه)

ولو ترك الانسان يستسلم لنزعات حرصه وطمعه ، لأصبح خطرا على نفسه وجماعته ، فكان لابد من توجيه طموحه الى قيم أرفع ، ومعان أخلد : ورزق أبقى ، وذلك هو وظيفة الدين معه ، قال تعالى :

﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيــه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ . (طه : ١٣١)

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنــده حسن المـآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد ﴾ . (آل عمران : ١٤ ، ١٥)

وظيفة الايمان هنا أن يحد من سورة الحرص والطمع ، والطغيان والشراهة والجشع على النفس البشرية ، فلا تستبد بها وتجعلها تحيـا فى قلق دائم ، لا تكتفى بقليـل ، ولا تشبع من كثير ، لا يطفىء غلة ظمئها ما عندها فتمتد عينها الى ما عند غيرها : ولا يشـبعها الحلال فيسيل لعابها الى الحرام . مثل هذه النفس لا ترضى ولا تستريح .

وظيفة الايمان أن يوجه النفس الى القيم المعنوية الخالدة ، والى الدار الآخرة الباقية ، والى الله الحى الذى لا يموت . ويعلم المؤمن أن الغنى ــ ان كان ينشد الغنى ــ ليس فى وفرة المـال وكثرة المتاع ، وانما هو فى داخل النفس أولا ، وبذلك ورد الحديث النبوى الشريف:

« ليس الغنى عن كثرة العرض ، انمـا الغنى غنى النفس » .

(متفق عليــه)

وثانى ما تعنيه القنـاعة : أن يرضى الانسـان بما وهب الله له مما لا يستطيع تغييره ، وفى حدود ما قدر له يجب أن يكون نشـاطه وطموحه ، فلا يعيش متمنيا ما لا يتيسر له ، متطلعا الى ما وهب لغيره ولم يوهب له ، كما حدث فى عهـد الرسول عليه السـلام حين تمنى النساء أن يكون لهن ما للرجال ، فأنزل الله :

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما ﴾ . (النساء : ٣٢)

وفى حال العسر وضيق الرزق التى تحل بالأفراد ، ولا تخلو منها حياة الناس ، وفى الأزمات التى تحل بالأمم نتيجة حرب أو كارثة أو نحوها .. هؤلاء فى حاجة أن يعلموا ويوقنوا أن السعادة ليست فى وفرة أعراض الحياة ، ولكنها فى داخل النفس . وأولى ما يقال لهم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

اذن .. من القناعة الا تكون جشعا شرها ، ولا متطلعا الى ما ليس لك ، ولا فى طاقة مثلك . وبذلك تستروح نسمات الحياة الطيبة التى جعلها الله جزاء للمؤمنين العاملين فى الدنيا :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .. ﴾ . (النحل : ٩٧)

وقد فسر على بن أبى طالب كرم الله وجهه الحياة الطيبة بالقناعة[١].

ان القناعة بالقليل من الرزق ليست مصدر ضعف ، كما يتوهم قصار النظر من الناس ، بل انها مصدر قوة لأصحاب المبادىء ، وحملة الرسالات المكافحين ، الذين يتعرضون للاضطهاد والمصادرة والحرمان . فترى أحدهم يخوض المعركة ضد الباطل والظلم ، صلب العود ، متين البنيان ، ثابت القدم ، لأنه يعلم من نفسه أن القليل يكفيه من الطعام وما خشن من اللباس ، وشظف من العيش .

وما حكى عن المسيح عليه السلام أنه كان يقول : « لباسى الصوف ، وطعامى الشعير ، وسراجى القمر ، ودابتى رجلاى ، ووسادتى ذراعى .. أبيت وليس لى شيء ، وأصبح وليس لى شيء ، وليس على وجه الأرض أغنى منى »[٢] .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٢
(٢) المرجع السابق : ص ١٢٥

وصاحب المبدأ والرسالات اذا تمكنت هذه القناعة من نفسه لم يعد يبالي أو يخاف .

ان رضا الانسان عن السير العام للكون والحياة ، لا يستلزم الرضا عن كل ما يراه على مسرح الحياة من شذوذ وانحراف جزئي مصدره هذا الانسان المكلف المختار .. فان رضا الانسان عن السيارات وركوبها ، ليس معناه الرضا عما تسببه من حوادث ، وما يرتكبه سائقوها من مخالفات لقواعد المرور وآداب الطريق .

لقد رضي المؤمن عن نظام الله في الكون . ومن هذا النظام ما منح الله من عقل واختيار للانسان على أساسهما يتحمل المسئولية ، ويكون أهلا للزجر والتأديب والتقويم .

فالمؤمن راض عن نظام الوجود ، ساخط على انحراف الانسان الذي لم يقم بشكر الله على نعمة العقل والارادة التي منحها ، بل سخر نعمة الله في غير ما خلقت له .

٥ ـ الأمن النفسي :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . (الأنعام : ٨٢)

كما لا يتحسر المؤمن على الماضي باكيا حزينا ، ولا يلقى الحاضر جزوعا ساخطا ، نراه لا يواجه المستقبل خائفا وجلا ، ولا يعيش في فزع منه ، ورهبة من غموضه ، وتوجس من جبروته ، كأنه عدو شرير متربص ، بل يعيش آمن النفس .. ان ايمانه مصدر أمنه ، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها ، انه طمأنينة تتعلق بالمستقبل ، بكل ما يتوقعه الانسان ويخاف منه ، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسي .

ولا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام كاملين ، فأهلها في الغرفات آمنون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وتتلقاهم الملائكة منذ اللحظة الأولى :

﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ . (الحجر : ٤٦)

● **نموذج للخوف والاضطراب :**

« اننى أعيش فى خوف دائم ، فى رعب من الناس والأشياء ، ورعب من نفسى ، لا الثروة أعطتنى الطمأنينة ، ولا المركز المتاز أعطانيها ، ولا الصحة ولا الرجولة ، ولا الحب .. ضقت بكل شيء ، بعد أن جربت كل شيء . اننى أكره نفسى ، وأخاف من نفسى . ألا ترى الأشباح من حولى ؟ ألا تحس بالخوف يفتح فمه لكى يلتهمنى ؟ » .

« مم هذا ؟ الهموم ؟ ليست لى هموم . ان همى الأكبر هو هذه الدنيا .. المال عندى ، والمركز والجاه ، والصحة ، والجمال والحب .. كل شيء بين يدى ، كل شيء ملكى ، لماذا أنا خائف اذن ؟ » .

« ربما كنت خائفا لأنه لا يوجد شيء أخاف منه ، ربما كنت خائفا لأن كل شيء بين يدى . ان الامتلاء كالجوع ، كلاهما يخيف !. كل ما يسعى الناس اليه ويفكرون فيه ميسر لى . ليس لى ما يشغلنى أو يتعبنى الحصول عليه .. حياتى فضاء .. لا هموم لى . اذن لابد أن أخاف ، لأننى لا أجد ما أخاف منه ، لابد أن أخاف من المجهول الذى لا أعرفه .. » .

« اننى تائه فى الحياة لأننى بلغت قمة الحياة .. ان الحياة الآن هى عدوى .. ليس ما فى الحياة ، فكله ملكته .. اننى أشعر أنها تسخر منى ، وتقف فى وجهى كالغول .. عرفت الآن مم أخاف .. انى أخاف من الحياة ذاتها » .

● **نموذج للأمن والاستقرار :**

لقد عرضنا نموذجا واضح الظلال لنفسية أولئك المحرومين من حلاوة الايمان ، وبرد اليقين . وهو يصور لنا ما يعانيه هؤلاء من خوف ورعب وقلق وتعب نفسى لم يخفف وطأته عليهم وفرة المال والجاه ونعيم الدنيا كله .

وتقرأ فى مقابل هذا نموذجا رسمه القرآن لأم مؤمنة أوحى الله اليها

أن تلقى بولدها فى عرض البحر ، ووعدها برده اليها ، فاستجابت لايمانها ، وصدقت بكلمات ربها ووعده ، وقذفت بولدها فى التابوت ، ثم فى اليم ، ليلقيه اليم بالساحل ، ليأخذه عدوه المتربص ، كل هذا وقلب الأم مطمئن بالايمان . نقرأ هذا فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ . (القصص : ٧ ، ٨)

واستجابت الأم وصدقها الله وعده :

﴿ فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ . (القصص : ١٣)

● الايمان مصدر الأمان :

ان الناس يخافون من أشياء كثيرة ، وأمور شتى ، ولكن المؤمن أغلق أبواب الخوف كلها ، فلم يعد يخاف الا الله وحده ، يخافه أن يكون فرط فى حقه ، أو اعتدى على خلقه ، أما الناس فلا يخافهم ، لأنهم لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

دعا أبو الأنبياء ابراهيم الى توحيد الله ، وتحطيم الأصنام ، فخوفه قومه من آلهتهم التى دعا الى نبذها ، فقال ابراهيم متعجبا :

﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن ، ان كنتم تعلمون ﴾ .
(الأنعام : ٨١)

وقد عقب الله على ذلك حاكما بين الفريقين فقال :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . (الأنعام : ٨٢)

وفسر النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظلم فى هذه الآية بالشرك :

﴿ ان الشرك لظلم عظيم ﴾ . (لقمان : ١٣)

فبين لنا أن الايمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة ، وبالتالى يكون الجحود بالله أو الشرك به ، أعظم أسباب الاضطراب والرعب . وصدق الله تعالى اذ قال :

﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴾ . (آل عمران : ١٥١)

● المؤمن آمن على رزقه :

هو آمن على رزقه أن يفوت ، فان الأرزاق فى ضمان الله الذى لا يخلف وعده ، ولا يضيع عبده . وقد خلق الأرض مهادا وفراشا وبساطا ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ، وجعل فيها معايش ، ووعد عباده فيها بكفالة الأرزاق .. وعد كريم لا يبخل ، قدير لا يعجز ، حكيم لا يعبث :

﴿ .. وكان وعد ربى حقا ﴾ . (الكهف : ٩٨)

﴿ وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ . (الروم : ٦)

﴿ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ . (الذاريات : ٥٨)

﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ﴾ . (الذاريات : ٢٢ ، ٢٣)

﴿ وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها .. ﴾ . (هود : ٦)

﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم .. ﴾ . (العنكبوت : ٦٠)

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنـا على رزقه ، مطمئنا الى أن الله لن يهلكه جوعا .. فهو ـ سبحانه ـ الذى يطعم الطير فى الفضاء ، والسباع فى الفلوات ، والأسماك فى البحار ، والديدان فى الصخور .

ولقد كان المؤمن يذهب الى ميدان الجهاد حاملا رأسه على كفه ، متمنيا الموت فى سبيل عقيدته ، ومن خلفه ذرية ضعاف ، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم فى رعاية رب كريم ، لن يتخلى عنهم .

● المؤمن لا يخاف الموت :

فهو لا يعيش فى خوف من الموت ، وجزع من مرارة كأسه . انه زائر لابد من لقائه ، وقادم لا ريب فيه ، والخوف لا يرده ، والجزع لا يثنيه :

﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم .. ﴾ .

(الجمعة : ٨)

﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة .. ﴾ .

(النساء : ٧٨)

ويهون الموت على المؤمن أنه سبيل الناس قبله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فلا عليه اذا اقتفى أثرهم ، وسار فى دربهم .. ان الموت خطب قد عظم حتى هان وخشن حتى لان :

﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ . (الزمر : ٣٠)

﴿ كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون اجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ . (آل عمران : ١٨٥)

﴿ .. قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾

(النساء : ٧٧)

فالموت ليس عدما محضا ، ولا فناء صرفا ، انه انتقال من حيـاة الى حيـاة ، ومن طور الى طور • فالموت انطلاق من قفص الجسـد وغلافه ، ثم عودة اليه فى نشأة أخرى يوم البعث والنشور •

قيل لأعرابى اشتد مرضه : « انك ستموت ـ فقال : والى أين يذهب بى بعد الموت ؟ قالوا : الى الله ، فقال ويحكم ، وكيف أخاف الذهاب الى من لا أرى الخير الا من عنده ؟

وصدق الله تعالى القائل :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنـة التى كنتم توعـدون • نحن أوليـاؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشـتهى أنفسـكم ولكم فيها ما تدعون • نزلا من غفور رحيم » • (فصلت : ٣٠ ـ ٣٢)

٦ ـ الأمل :

من مصـادر الأمن والسـكينة لدى المؤمن : ما يغمر جوانحـه من أمل •• ذلك الشعاع الذى يلوح للانسان فى دياجير الحياة فيضىء له الظلمات ، وينير له المعـالم ، ويهديه السـبيل • ذلك هو الأمل ، الذى به تنمو شـجرة الحيـاة ، ويرتفع صرح العمران ، ويذوق المرء طعم السعادة : ويحس ببهجة الحياة •

فالأمل اذن هو اكسير الحياة ، ودافع نشاطها ، ومخفف ويلاتها ، وباعث الهمة والسرور فيها •

والأمل ـ قبل ذلك كله ـ شىء حلو المذاق ، جميل المحيـا فى ذاته ، تحقق أو لم يتحقق •

وضد الأمل اليأس •• وهو انطفاء جـذوة الأمل فى الصـدر ، وانقطاع خيط الرجاء فى القلب ، فهو العقبة الكئـود والمعوق القاهر الذى يحطم فى النفس بواعث العمل ، ويوهى فى الجسد دواعى القوة •

فاذا يئس المريض من الشفاء كره الدواء والطبيب وكل ما يمت لهما بصلة • وضاق بالحيــاة ، ولم يعد يجديه علاج ، الا أن يعــود الأمل اليه •

ذلك هو اليأس •• سم بطيء لروح الانسان ، واعصـــار مدمر لنشاطه • وتلك حال اليائسين أبد الدهر : لا انتاج للحياة ، ولا احساس بمعنى الحياة •

وليس بعجيب أن تجد هذا الصنف من الناس بوفرة بين الجاحدين بالله وضعاف الايمان به ، لأنهم عاشــوا بأنفســهم فحسب ، وقطعوا الصلة بالكون ورب الكون ، فلا غرو أن نجــد هؤلاء المــارقين أكثر البشر يأسا ، كما نجد اليائسين أكثر الناس ، فهناك ارتباط بين اليأس والكفر فكلاهمــا سبب للآخر وثمرة له •• اليأس يلد الكفر والكفر يلد اليأس :

﴿ •• انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ •

(يوسف : ٨٧)

﴿ •• ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ • (الحجر : ٥٦)

● **الايمان يلد الأمل :**

وفي الجانب الآخر نجد الايمان والأمل متلازمين • فالمؤمن أوسع الناس أملا ، وأكثرهم تفاؤلا واستبشارا ، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر • فالايمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء ، ولا تعجز عن شيء ، والاعتقاد بقوة غير محدودة ، ورحمة غير متناهية ، وكرم غير محــدود •• الاعتقاد باله قدير رحيم ، يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، يمنح الجزيل ، ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات • اله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وأبر بخلقه من أنفسهم •

اله يجزى الحســنة بعشر أمثالها الى ســبعمائة ضعف أو يزيد ،

ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو . انه يدعـو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ، ويقول فى الحديث القدسى : « أنا عنـد ظن عبدى بى ، وأنا معـه اذا ذكرنى ، ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خـير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » . (رواه البخارى)

انه يداول الأيام بين الناس . فيبدل من بعد الخوف أمنا ، ومن بعد الضعف قوة ، ويجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، ومع كل عسر يسرا .

المؤمن الذى يعتصم بهـذا الاله البر الرحيم ، العزيز الكريم ، الغفور الودود ، ذى العرش المجيد ، الفعال لمـا يريد ــ يعيش على أمل لا حد له ، ورجاء لا تنفصم عراه . انه دائما متفائل ، ينظر الى الحياة بوجه ضاحك ، ويستقبل أحـداثها بثغر باسـم ، ولا يعرف العبوس ..

فهو اذا حارب كان واثقا بالنصر ، لأنه مع الله فالله معه :

﴿ انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون ﴾ .

(الصافات : ١٧٢ ، ١٧٣)

واذا مرض لم ينقطع أمله فى العافية :

﴿ الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسـقين . واذا مرضت فهو يشـفين ﴾ . (الشعراء : ٧٨ ــ ٨٠)

واذا اقترف ذنبا لم ييأس من المغفرة . ومهما يكن ذنبه عظيما فان عفو الله أعظم :

﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم ﴾ . (الزمر : ٥٣)

وهـو اذا أعسر لم يزل يؤمل فى اليسر :

﴿ فان مع العسر يسرا . أن مع العسر يسرا ﴾ . (الشرح : ٥ ، ٦)

وهو اذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره فى مصيبته ويخلفه خيرا منها :

« الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » .

(البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧)

وهـو اذا رأى الباطل يقوم فى غفلة الحـق أيقن أن الباطل الى زوال ، وان الحق الى ظهور وانتصار :

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .. » .

(الأنبياء : ١٨)

« .. فأما الزبد فيذهب جفـاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .. » . (الرعد : ١٧)

وهو اذا أدركته الشيخوخة ، واشتعل رأسه شيبا ، لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم ، وحياة بلا موت ، وسعادة بلا شقاء :

« جنات عدن التى وعـد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعـده ماتيا . لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » .

(مريم : ٦١ ، ٦٢)

ان المكروب يتجه الى الله — سبحانه — يسأله الصبر والرضـا ، والخلف من كل فائت ، والعوض عن كل مفقود .. ويتجه اليه المظلوم آملا يوما قريبا ينتصر فيه على ظالمـه ، فليس بين دعـوة المظلوم وبين الله حجاب . ويتجه اليه المحروم ليرزقه ، فلا يخيب رجاءه ..

طلب ابراهيم أبو الأنبياء — عليـه السـلام — من ربه أن يرزقه الولد ، وهو شيخ كبير ، قائلا :

« رب هب لى من الصالحين » . (الصافات : ١٠٠)

فاستجاب الله له . وقد أثنى على ربه فقال :

﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ، ان ربى لسميع الدعاء ﴾ . (ابراهيم : ٣٩)

ويعقوب بعد أن طالت غيبة ولده يوسف عنه ، وبعدت مسافة الزمن بينهما ، وكان جديرا أن يفقد الأمل فى لقائه ، ثم فجع بحجز شقيقه من بعده فى حادثة صواع الملك ، لكنه مع هذا لم يتسرب الى فؤاده اليأس ، بل قال :

﴿ .. فصبر جميل ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ، انه هو العليم الحكيم ﴾ . (يوسف : ٨٣)

وحين أبدى أسفه على ابنه يوسف قال له أبناؤه :

﴿ تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال انما اشكوا بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ .
(يوسف : ٨٥ ، ٨٦)

ثم ألقى الى أبنائه بحقيقة ما فى نفسه من أمل حلو تعززه الثقة بالله أن يجمع شمله بأبنائه فقال :

﴿ يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ . (يوسف : ٨٧)

وزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا :

﴿ قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا ﴾ .
(مريم : ٤ ــ ٦)

فاستجابت له السماء :

﴿ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾

(مريم : ٧)

﴿ وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ . (الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤)

ويونس وقد ابتلعه الحوت :

﴿ فنادى فى الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك أنى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ .
(الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨)

ومحمد يلجأ الى غار ثور فى هجرته مع صاحبه الصديق ، ويقتفى المشركون أثر قدميه ، ويقول قائدهم : لم يعد محمد هذا الموضع .. فاما صعد الى السماء من هنا ، واما هبط الى الأرض من هنا .. ويشتد خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين ويبكى ويقول : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا . فيقول له النبى : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن الكريم :

﴿ الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم ﴾ . (التوبة : ٤٠)

هذه وقائع عرفها التاريخ الذى لا شك فيه ، وهى لا تخرج على الأسباب المعتادة للناس ، غير أن المؤمنين يوقنون أن الأسباب المعتادة لا تحد قدرة الله المطلقة . وليس ثباتها واجبا عقليا لا يقبل الانفكاك ، ولو جمد العلماء والمخترعون على ما اعتاده الناس ، وما تعارفوا عليه فى عصرهم ، ما تقدم العلم خطوة ، وما وصلنا الى عصر الذرة والفضاء .

● ضرورة الأمل فى الحياة :

الأمل لابد منه لتقدم العلوم . فلو وقف عباقرة العلم والاختراع عند مقررات زمنهم ولم ينظروا أبعد من مواقع أقدامهم ، ولم يمدهم

الأمل بروحه فى كشف المجهول ، واكتساب الجديد من الحقائق والمعارف ، ما خطا العلم خطواته الرائعة الى الأمام ووصل بالانسان الى القمر والفضاء .

والأمل لابد منه لنجاح الرسالات والنهضات ، واذا فقد المصلح أمله فقد دخل المعركة بلا سلاح يقاتل به ، فأنى يرتقب له الانتصار والفلاح ؟

واذا استصحب الأمل فان الصعب سيهون ، والبعيد سيدنو ، والأيام تقرب البعيد .

والمثل الأعلى للمسلمين سيدنا رسول الله صلوات الله عليه :

فقد ظل فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو قومه الى الاسلام فيتلقون دعوته بالاستهزاء ، وقرآنه باللغو فيه ، وحججه بالأكاذيب ، وآياته بالتعنت والعناد ، وأصحابه بالأذى والعذاب . فما لانت له قناة ، ولا انطفأ فى صدره أمل .

ولما اشتد أذى المشركين لأصحابه ، أمرهم بالهجرة الى الحبشة ، وقال لهم فى ثقة ويقين : « تفرقوا فى الأرض وأن الله سيجمعكم »[1] .

وفى الهجرة من مكة ، والنبى خارج من بلده خروج المطارد المضطهد الذى يغير الطريق ، ويأوى الى الغار ، ويسير بالليل ، ويختفى بالنهار .. ويذهب الرسول الكريم الى المدينة المنورة . ويبدأ فى كفاح دام مرير مع طواغيت الشرك ، وأعوان الضلال . وتسير الحرب ــ كما هى سنة الله ــ سجالا ، حتى تأتى « غزوة الأحزاب » ، فيتألب الشرك الوثنى بكل عناصره ، والغدر اليهودى بكل تاريخه . ويشتد الأمر على النبى وأصحابه : قريش وغطفان ومن معهما من خارج المدينة ، واليهود والمنافقون من الداخل . موقف عصيب صوره القرآن بقوله :

---

(١) المرجع السابق : ص ١٤٣

﴿ اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ . (الاحزاب : ١٠ ، ١١)

فى هذه الساعات الرهيبة التى يذوى فيها عود الامل ، ويخبو شعاع الرجاء ، ولا يفكر المرء الا فى الخلاص والنجاة .. فى هذه اللحظات والنبى يسهم مع أصحابه فى حفر الخندق حول المدينة ليصدوا بحفره الغزاة ، ويعوقوا الطامعين العتاة ــ يحدث النبى أصحابه عن الغد المأمول ، والمستقبل المرجو حين يفتح الله عليهم بلاد كسرى بفارس ، وبلاد قيصر بالشام ، وبلاد اليمن بالجزيرة ، حديث الواثق الذى أثار أرباب النفاق فقالوا فى ضيق وحنق : ان محمدا يعدنا كنوز كسرى وقيصر . وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الخلاء وحده ! أو كما يقول القرآن الكريم :

﴿ واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ . (الاحزاب : ١٢)

ماذا تسمى هذا الشعاع الذى يبزغ فى دياجير الأحداث من القلوب الكبيرة ، فينير الطريق ويبدد الظلام ؟ انه الأمل ، وان شئت فهو الايمان بنصر الله :

﴿ ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم . وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ . (الروم : ٥ ، ٦)

٥ ــ الثبات فى الشدائد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ــ وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ــ ان أصابته سراء شكر ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » . (رواه مسلم)

الأمل والأمن ، والرضا والحب ، والسكينة النفسية ، ثمار شهية لغراس العقيدة فى نفس المؤمن ، وذخائر لا تنفد لامداده فى معركة

الحياة ، وانها لمعركة طويلة الأمد ، كثيرة التكاليف ، محفوفة بالأخطار والمشقات .. ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا ، وطبيعة البشر فيها ، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه ، وشدائد تحل بساحته .

واذا كان هذا سنة الله فى الحياة عامة ، وفى الناس كافة ، فان أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضا لنكبات الدنيا وويلاتها .. انهم يدعون الى الله فيحاربهم دعاة الطاغوت ، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل ، ويهدون الى الخير فيعاديهم أنصار الشر ، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر .. وبهذا يحيون فى دوامة من المحن ، وسلسلة من المؤامرات والفتن ، سنة الله الذى خلق آدم وابليس ، وموسى وفرعون ، ومحمدا وأبا جهل . قال تعالى :

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عـدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا .. ﴾ . (الأنعام : ١١٢)

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين .. ﴾ .

(الفرقان : ٣١)

هذا شأن الأنبياء ، وشأن ورثتهم ، والسائرين على دربهم ، والداعين بدعوتهم ، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله :

﴿ وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ .

(البروج : ٨)

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء فقال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه . فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينـه رقة ابتلاه الله على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .

(رواه الترمذى)

والمؤمنون هم أصبر الناس على البلاء ، وأثبتهم فى الشـدائد ،

وأرضاهم نفسا فى الملمات .. فلقد عرفوا قصر عمر الدنيا بالنسبة لعمر الخلود ، فلم يطمعوا أن تكون دنياهم جنة قبل جنة الخلود :

﴿ .. قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى .. ﴾ .
(النساء : ٧٧)

﴿ .. وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ (آل عمران : ١٨٥)

وعرفوا سنة الله فى « الانسان » الذى ابتلى بنعمة حرية الارادة ، والاستخلاف فى الأرض . فلم يطمعوا أن يكونوا ملائكة أولى أجنحة :

﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه .. ﴾ .
(الانسان : ٢)

﴿ لقد خلقنا الانسان فى كبد ﴾ . (البلد : ٤)

وعرفوا من سنن أنبيائهم ورسلهم أنهم أشد الناس بلاء فى الحياة الدنيا ، وأقل الناس استمتاعا بزخرفها ، فلم يطمعوا أن يكونوا خيرا منهم ، ولهم فيهم أسوة حسنة :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا ان نصر الله قريب ﴾ . (البقرة : ٢١٤)

وعرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عمياء ، ولا خبط عشواء ، ولكنه وفق قدر معلوم ، وقضاء مرسوم ، وحكمة أزلية ، فآمنوا بأنه ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم :

﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ﴾ . (الحديد : ٢٢)

وعرفوا أن من صفاته تعالى أن يقدر ويلطف ، ويبتلى ويخفف :

﴿ .. ان ربى لطيف لما يشاء ، انه هو العليم الحكيم ﴾ .
(يوسف : ١٠٠)

وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة لهم ، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم ، تنضج نفوسهم ، وتصقل ايمانهم ، وتذهب صدأ قلوبهم •

والمؤمن ينظر بعين بصيرته فيحمد الله على أمرين :

أولهما : دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر •

وثانيهما : بقاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامرة وفضل جزيل • فهو ينظر الى النعمة الموجودة قبل أن ينظر الى النعمة المفقودة ، وينظر الى البلاء المتوقع بجانب نظره الى البلاء الواقع ••

هذا بلا شك يحدث كثيرا من الارتياح والرضا ، فالبلاء المتوقع كثير وقد دفع عنه ، والنعم الموجودة كثيرة وقد بقيت له •

ورجاء مثوبة الله تعالى على ما يبتلى به الانسان فى دنياه نعمة روحية أخرى تهون على الانسان البلاء • وهذه المثوبة تتمثل فى تكفير السيئات ، وما أكثرها !! وزيادة الحسنات ، وما أحوج الانسان اليها !! وفى الحديث الصحيح :

« ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه »(١) •

٦ ـ الايمان والأخلاق :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » • (رواه الترمذى)

اذا تأملنا فى عالم الحيوان وجدنا غريزته تهديه الى تنظيم حياته وتدبير أمره ، منفردا ومجتمعا ، كما نشاهد ذلك فى جماعة النمل ، وكيف تعمل فى تعاون واتساق لجمع أقواتها ، وادخارها فى جحورها الى فصل الشتاء ، حيث لا تستطيع الاستمرار فى طلب الرزق • ويتضح ذلك أيضا بجلاء فى مملكة النحل ، التى تقوم دولتها على ملكة وعاملات

---

(١) الايمان والحياة « مرجع سابق » : ص ١٦٦

وذكور — يقوم كل منها بدوره فى الجماعة فى دقة وتعاون واتساق . وتلك آية من آيات الله للمتفكرين فى هذا النظام الدقيق الذى هداها الله اليه أو أوحى اليها به — وفق تعبير القرآن الكريم :

﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ . (النحل : ٦٨ ، ٦٩)

ذلك شأن الغريزة فى الحيوان .

أما الانسان فغرائزه متعددة متنوعة ، معقدة ومركبة غير بسيطة .. فمنها الفردى الذى يدفع الى الأنانية والأثرة ، والاجتماعى الذى يغرى بالتعاون والايثار . ومنها ما يهبط الى حضيض المادة ، ومنها ما يسمو به الى أفق الروح . ذلك أن الانسان ذاته مخلوق مركب ، فهو جسد وروح ، وشهوة وعقل ، وملاك وشيطان . ولا يستخدم علم النفس الحديث لفظ « الغرائز » بالنسبة للانسان ، ويستخدم لفظ « الفطرة » .. ترى ما الذى يضع للانسان القواعد الأخلاقية السليمة الصحيحة ؟ وما الذى يحدد للانسان سلوكه المستقيم ، ويرسم له سلوكه المستقيم ؟ ويرسم له طريقا موصلا الى غاية لا عوج فيه ؟ ويدفعه الى السير فى هذا الطريق القويم ؟

هل هو القانون ؟ أم هى الفلسفة الأخلاقية ؟ أم هو الدين ؟.. سنحاول أن نلقى بعض الضوء على كل من هذه الثلاثة ..

● القانون وحده لا يكفى لضبط السلوك الانسانى :

القانون أمر لابد منه لتنظيم شئون الجماعة وتحديد علاقاتها ، ولكنه لا يصلح وحده ضابطا لسلوك البشر ، لأن سلطانه على الظاهر وليس على الباطن ، ودائرته فى العلاقات العامة لا فى الشئون الخاصة ، ومهمته أن يعاقب المسىء دون أن يستطيع مكافأة المحسن . غير أن التحايل على القوانين ميسور ، وتطويع نصوصها للأهواء مستطاع ،

والهرب من عقوبتها ليس بالشيء العسير • واذا كان القانون عاجزا عن أن يكون زاجرا عن الشر ورادعاً عن الجريمة والفساد ، فانه لأعجز عن أن يكون دافعا الى خير أو باعثا على حق أو حافزا على عمل صالح •

ومهما افترضنا في القانون الانسانى من مطابقة العدل والحق ، فانه على كل حال ليس له قوة ذاتية وانما قوته فى « الحكومة » القائمة على رعايته وتنفيذه •

● الفلسفة الأخلاقية لا تغنى :

وأما الفلسفة الأخلاقية فلا يمكنها توجيه الجماهير الغفيرة من الناس • انها لا تستطيع الا توجيه أفراد محدودين ، وبتأثير محدود لا ينفذ الى الأعماق كما ينفذ الى الدين •• ثم أى فلسفة أخلاقية تلك التى يتبعها الناس ، وكل فيلسوف له مذهب وكل مذهب له مقياس ؟ أهى فلسفة المنفعة التى نادى بها « وليم جيمس » وغيره ، أم فلسفة اللذة التى نادى بها « أبيقور » ، أم فلسفة القوة التى نادى بها « نيتشه » أم فلسفة الواجب التى دعا اليها « كنت » ؟

ما الجزاء الذى يناله المرء على استمساكه بفضائل أخلاقية معينة ؟ أهو جزاء يقنع العقل ويرضى النفس ، أم هو سراب ؟

● الأخلاق لا الفلسفة الأخلاقية :

ورفضنا للفلسفة الأخلاقية ليس رفضا للأخلاق نفسها •• فالأخلاق ملاك الفرد الفاضل ، وقوام المجتمع الراقى ، يبقى ويستقر ما بقيت ، ويذهب ويتلاشى ان ذهبت ، بل لا حياة له بغيرها •

وللأخلاق فى نظر الدين عامة ، والاسلام خاصة ، محل رفيع ، ومكان فسيح • والقرآن الكريم أثنى على خير الرسل محمد عليه السلام بقوله :

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ • (القلم : ٤)

ويلخص النبى رسالته فيقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (رواه البخارى)

وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » . (رواه الترمذى)

وقال أيضا : « البر حسن الخلق » . (رواه مسلم)

وقال : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن » . (رواه الترمذى)

ذلك هو شأن الأخلاق فى الدين وفى المجتمع .. وهى فى الدين ركن ركين ، وهى فى المجتمع أساس مكين .

● لا اخلاق من غير دين :

ان الدين لا يقف عند حد الدعوة الى مكارم الأخلاق وتمجيدها . بل انه هو الذى يرسى قواعدها ويحدد معالمها ، ويضبط مقاييسها الكلية ، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك ، ثم يغرى بالاستقامة ، ويحذر من الانحراف ، ويضع المثوبة والعقوبة على كلا السلوكين نصب العين .

وبدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون !.

فالدين هو المصدر الفذ المعصوم الذى يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها . والدين هو الذى يربط الانسان بمثل أعلى يرنو اليه ، ويعمل له . والدين هو الذى يحد من أنانية الفرد وسيطرة عاداته ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربى فيه الضمير الحى الذى على أساسه يرتفع صرح الأخلاق .

● الايمان والمثل الأعلى :

ما هو هم الانسان الذى لا دين له ولا عقيدة ؟ وما غايته من وجوده ؟ وما رسالته فى الحياة ؟

انه لا هم له ولا غاية ولا رسالة الا أن يدور فى فلك نفسه ،

ويتبع هواها ويحقق رغائبها العاجلة ، ويسير خلف دوافعها أيا كانت ، وفقا لمزاجه وتكوينه الخاص ..

فان كان مزاجه من النوع « العصبى » جعل همه العلو فى الأرض والاستكبار على الناس ، واظهار السلطة والتحكم فى الرقاب ، والاختيال بفعاله . ولم يهمه فى سبيل ذلك أن يبنى قصرا من جماجم البشر ، وأن يزخرفه بدماء الأبرياء .

وان كان يغلب عليه الجانب « الشيطانى » دبر المكائد ، وفرق بين الأحبة ، وزين الاثم ، وأغرى بالفاحشة ، وأوقع العداوة والبغضاء بين الناس . وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى :

﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .

(الرعد : ٢٥)

وهكذا يدور كل واحد من هؤلاء حيث تدور نفسه ، وينقاد لأمر هواه ، والهوى يعمى ويصم ، والهوى اله معبود :

﴿ .. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .. ﴾ .

(القصص : ٥٠)

أما المؤمن فانه يعيش لرسالة كبيرة ، ويعمل لهدف رفيع ، ويحيا فى ظل مثل عليا ، يعيش لها ويموت عليها هى : القربى الى الله ، والسعى الى مرضاته . وفى سبيل ذلك يكبح جماح نفسه ، ويقمع طغيان هواه ، ويضغط على غرائزه وشهواته ، احتسابا لله وايثارا لما عنده ، وابتغاء مرضاته ، وايمانا بحسن الثواب لديه ، وقد وضع نصب عينيه قول ربه جل شأنه :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا

عنـد ربهم جنـات تجرى من تحتها الأنهـار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عـذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسـحار ﴾ . (آل عمران : ١٤ : ١٧)

فهذه هى الثمرات الأخلاقية للايمان ، وهذه هى صـفات المؤمن التقى الذى آثر ما عند الله على شهوات الحياة .. خشية من الله وحرص على رضـاه ومغفرته ، وصبر وصـدق وقنـوت وانفـاق ، بلا ادعاء ولا غرور ، بل شعور بالتقصير ، يجعله يستغفر الله على كل حال .

ان المثل الأعلى للمؤمن أن يقترب من الله فى علاه ، ويحصل على مثوبته ورضاه . وهذا يجعل حياته كلها موصولة الأسباب بالله ، ويجعله يحيا دائما وهو يرجو الله والدار الآخرة ، ويجعل أكبر همـه أن يتخلق بالصفات التى يرضى عنها الله سـبحانه ، وينأى بنفسـه عن مشـابهة الأنعام والشياطين .

● **أثر الايمان فى تكوين الضـمير :**

الايمان ــ بلا ريب ــ هو أعظم مدد للضمير ، وأقوى « مولد » يغذيه ويمده « بالتيار » الذى يمنحه القوة والحركة .. فعقيدة المؤمن فى الله أولا ، وعقيدته فى الحساب والجزاء ثانيا ، تجعل ضميره فى حياة دائما وفى صحو أبدا .

انه يعتقد أن الله معه حيث كان ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية :

﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيـامة ، ان الله بكل شىء عليم ﴾ . (المجادلة : ٧)

﴿ وما تكون فى شـأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شـهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة

في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴾ . (يونس : ٦١)

وقد كان المشركون يأتمرون برسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل الوحي من الله يفضح سترهم ، ويكشف أمرهم فقال بعضهم لبعض : غضوا أصواتكم حتى لا يسمعنا اله محمد ، فنزل قول الله تعالى :

﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ، انه عليم بذات الصدور . الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ﴾ . (الملك : ١٣ ، ١٤)

ويعتقد المؤمن لذلك أنه محاسب يوم القيامة على عمله ، مجزى به ان خيرا أو شرا ، فما تقدم من عمل لم يذهب بذهاب أيامه ، بل كتبه « قلم التسجيل » الالهي ، الذي يحصى له وعليه الصغيرة والكبيرة :

﴿ اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ . (ق : ١٧ ، ١٨)

﴿ وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾ .
(الانفطار : ١٠ – ١٢)

﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ، ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ . (الزخرف : ٨٠)

٦ – البذل والتضحية :

في الانسان بلا شك نزعة اجتماعية غيرية فطرية ، ولكنها لا تقاوم نزعته الذاتية لو تركت وشأنها . ومن هنا نرى الانسان حريصا على أن يجمع لنفسه من أسباب النعمة ما استطاع ، وحريصا على الاستئثار به دون غيره ، حتى أنه ليشيب ويهرم ، ويشب معه الحرص والشح ، ولذا وصفه خالقه بقوله :

﴿ .. وكان الانسان قتورا ﴾ . (الاسراء : ١٠٠)

﴿ .. وأحضرت الأنفس الشح .. ﴾ . (النساء : ١٢٨)

وصور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرص الانسان على الدنيا وطمعه فى متاعها فقال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا »[1] .

واذا ترك الانسان لهذه الأنانية تسيطر على نفسه ، وتحكم سلوكه ، وتوجه علاقاته بالناس ، فلن تجد فيه الا انسانا جشعا شحيحا ، كل همه أن ينتفع ولا ينفع أحدا ، وأن يأخذ ولا يعطى ، يريد أن يربح ، ولا يريد أن يعمل ، ضنين بكل ما عنده ، شره الى ما عند غيره .

والانسان اذا ترك ونزعته الفردية ، فانه يؤثر ــ غالبا ــ السلامة ولا يرضى بتعريض نفسه لخطر أو أذى ، من أجل فكرة أو رسالة أو مصلحة كبرى . ولو سرت هذه الروح ، روح طلب السلامة ، لوقفت عجلة الرقى وأفلت شمس الحضارة ، وانطمست معالم الحق ، وغاضت ينابيع الخير .. فان رسالات النبيين ، وأفكار المصلحين ، لم تعل كلمتها الا ببذل النفس والمال والتضحية بكل غال وعزيز فى سبيل الوطن والأهل والعشيرة .

والمجتمع الذى يريد أن يبنى مجدا ، ويشيد حضارة ، وينهض برسالة ، فى حاجة الى جهود مضاعفة للبناء والرقى والنهوض . فى حاجة الى عقول لا تسأم التفكير ، والى سواعد لا تشكو التعب ، والى عزائم لا تشكو الملل والفتور ، فى حاجة الى الانسان الذى يعطى قبل أن يأخذ ، ويؤدى الواجب قبل أن يطلب الحق ، والانسان الذى تقر عينه بفراق الأهل من أجل الأمة ، ويطيب نفسا ببذل المال عند الحاجة ، وبذل الروح عند الضرورة ، ويضحى بمصلحته الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ، ويرضى بالتقشف والحرمان ، اذا كان فيه انتصار لحق أو خير .

فليت شعرى أين يوجد هذا الانسان ؟ ومن أى مدرسة يتخرج ؟..

(١) الايمان والحياة « مرجع سابق » : ص ٢٢١

لعمرى ان المدرسة الفذة التى تخرج هذا الصنف من الناس هى مدرسة « الايمان » .

الايمان هو الذى يهون على الانسان شهواته ومطالب دنياه . فاذا هو يكتفى بما يسد رمقه من الطعام ، وما يستر العورة من اللباس . واذا هو يرضى بالقليل من المال ، والمتواضع من المسكن . بل يهون عليه ماله فينفقه فى سبيل الله ، وسكنه فيهجره ، وأهله فيرحل عنهم ، بل يهون عليه حياته نفسها ، فاذا هو يضع رأسه على كفه ، ويخوض المعامع ، رابط الجأش راضى النفس ، مطمئن الضمير . فاذا أدركه الموت فى ميدان الجهاد ، استقبله بارتياح وسرور ، لأنه يوقن أن وراءه الجنة :

﴿ .. ورضوان من الله أكبر .. ﴾ . (التوبة : ٧٢)

فلا عجب أن ترى دينا كالاسلام يقدم لنا ــ فى مرحلة قوته وازدهاره ــ نماذج رائعة للتضحية والبذل والكفاح والجهاد ، وبأعداد هائلة ، تقدم ما تملك من نفس ومال فى سبيل الله وهى قريرة العين .

٧ ــ القوة :

للانسان فى الحياة آمال عريضة ، وأهداف قريبة وبعيدة ، ولكن الطريق اليها شائك وطويل ، والعقبات كثيرة ومتنوعة ، والمعوقات كثيرة ، بعضها من الطبيعة والبعض الآخر من البشر أنفسهم . فلا عجب أن يظل الانسان فى جهاد دائب وعمل متواصل ، كى يتغلب على المعوقات ويحقق الأهداف والآمال .

وما أشد حاجة الانسان الى قوة تسنده وتشد أزره ، وتأخذ بيده ، وتذلل له العقبات ، وتنير له الطريق . وليست هذه القوة المنشودة الا فى ظلال العقيدة ، ورحاب الايمان بالله .

فالايمان بالله هو الذى يمدنا بروح الثقة ، وقوة الروح . فالمؤمن لا يرجو الا فضل الله ، ولا يخشى الا عذاب الله ، ولا يبالى بشىء فى جنب الله . انه قوى وان لم يكن وراءه عشيرة وأتباع ، راسخ وان

اضطربت سفينة الحيـاة وأحاط بها الموج من كل مكان • فهو بايمانه أقوى من الموج والرياح • وفى الحديث النبوى الشريف : « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال »[1] •

وهذه القوة فى الفرد مصدر لقوة المجتمع كله • وما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين من أبنائه ، وما أشقاه بالضـعفاء الذين لا ينصرون صديقا ، ولا يخيفون عدوا ، ولا تقوم بهم نهضة •

● **مصادر القوة عند المؤمن :**

(أ) الايمان بالله :

المؤمن قوى ، لأنه يستمد قـوته من الله العلى الكبير ، الذى يؤمن به ويتوكل عليه ، ويعتقد أنه معه حيث كان ، وأنه ناصر المؤمنين ، عزيز لا يذل من توكل عليه ، حكيم لا يضيع من اعتصم بحكمته وتدبيره :

﴿ •• ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ • (الانفال : ٤٩)

﴿ ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ • (آل عمران : ١٦٠)

والتوكل على الله ــ وهــو من ثمار الايمان ــ انه معنى حافز ، وشحنة نفسـية ، تغمر المؤمن بقوة المقـاومة ، وتملؤه بروح التحدى والاصرار ، وتشحذ فيه العزم الصارم والارادة • والقرآن الكريم يقص علينا كثيرا آثار هذا التوكل فى نفوس رسل الله ، ازاء أعداء الله ••

(ب) الايمان بالحـق :

يستمد المؤمن قوته من الحـق الذى يعتنقه ، فهو لا يعمل لنزوة طارئة أو لمنفعة شخصية ، ولا للبغى على أحـد من البشر • ولكنه يعمل للحق الذى قامت عليه السموات والأرض ، والحق أحق أن ينتصر ، والباطل أولى أن يندثر • قال تعالى :

---

(١) الايمان والحياة « مرجع سابق » : ص ٢٢٨

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .. ﴾ .

(الأنبياء : ١٨)

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ﴾ .

(الاسراء : ٨١)

المؤمن بايمانه بالله وبالحق على أرض صلبة غير خائر ولا مضطرب ، لأنه يعتصم بالعروة الوثقى ، ويأوى الى ركن شديد :

﴿ .. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .. ﴾ . (البقرة : ٢٥٦)

فليس هو مخلوقا ضائعا ، ولا كما مهملا ، انه خليفة الله فى الأرض . ان تظاهر عليه أهل الباطل ، فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . فكيف يضعف المؤمن أمام البشر ومن ورائه الملائكة ؟ بل كيف ينحنى للخلق ومعه الخالق ؟ :

﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء .. ﴾ . (آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤)

(ج) الايمان بالخلود :

ويستمد المؤمن قوته من الخلود الذى يوقن به ، فحياته ليست قاصرة على تلك الأيام المحدودة ، انها حياة الأبد ، وانما ينتقل من دار الى دار .

(د) الايمان بالقدر :

ويستمد المؤمن قوته من القدر الذى يؤمن به ، فهو يعلم أن ما أصابه من مصيبة فباذن الله ، وأن الانس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشىء لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشىء ، لم يضروه الا بشىء قد كتبه الله عليه :

﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنــون ﴾ . (التوبة : ٥١)

المؤمن يعتقد أن رزقه مقســوم ، وأجله محدود ، لا يستطيع أحد أن يحــول بينه وبين ما قسم الله له من رزق ، ولا أن ينتقص ما كتب الله له من أجل . وهذه العقيدة تعطيه ثقة لا حدود لها ، وقوة لا تقهرها قوة بشر . وقد كان الرجل يذهب الى الميدان مجاهدا فى ســبيل الله فيعترض سبيله المثبطون ويخوفونه من ترك أولاده ، فيقول : علينا أن نطيعه تعالى كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا .

(هـ) الايمان بالأخــوة :

ويستمد المؤمن قوته من اخوانه المؤمنين ، فهو يشعر أيهم له وهو لهم يعينونه ، ويحفظونه اذا غاب ، ويواســونه عند الشدة ، ويؤنسونه عند الوحشة ، ويأخذون بيده اذا عثر ، ويسندونه اذا خارت قواه . فهو حين يعمل يحس بمشاركتهم ، وحين يجاهد يضرب بقوتهم .

● من ثمار هذه القوة فى نفس المؤمن وأخلاقه :

(أ) التزام الحق مع القريب والبعيد :

من ثمار هذه القوة النفسية ومظاهرها فى المؤمن ، الصدق فى كل حــال ، والعدل فى كل حين . فهو يعترف بالخطأ اذا زلت قدمه غير جاحد ولا مكابر ، فلا يبرر خطأه بخطأ آخر ، أو بالقاء التهمة على غيره . وهو يقول الحق ولو كان مرا ، ويقوم لله شهيدا بالقسط ولو على نفســه أو الأقربين ، ويعدل مع العدو عــدله مع الصــديق ، لا يعرف التحيز ولا المحاباة .

ومن أمثلة ذلك فى قادة المسلمين أنه بلغ الخليفة عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى خاتما فصه بألف درهم ، فبعث اليه يقول : أما بعد .. فقد بلغنى انك اشتريت خاتما فصه بألف درهم ، فاذا بلغك كتابى هــذا فبعه وأطعم بثمنه ألف جائع ! واشتر خاتما فصه من حــديد ، واكتب عليه : رحم الله امرءا عرف قدر نفســه ..

(ب) الاستهانة بالقوى المـادية :

ومن مظاهر هذه القوة شجاعته فى مواطن اليأس وثباته فى مواقف الشدة ، لا يخشى الناس مهما كثر عددهم ، ولا يبالى بالأعداء انسدت أبواب الخوف كلها فى نفسه ، فلم يعد يخاف الا من ذنبه ، ومن سخط ربه . واذا قيل له : ان أعداءك أكثر عددا تلا قول الله تعالى :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .. ﴾ .
(البقرة : ٢٤٩)

واذا قيل انهم أكثر مالا .. قرأ عليهم :

﴿ ان الذين كفروا ينفقــون أموالهم ليصــدوا عن ســبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ . (الانفال : ٣٦)

واذا حذروه من مكرهم وكيدهم أجابهم بما قال الله تعالى :

﴿ ومكروا ومكر الله ، والله خير المـاكرين ﴾ . (آل عمران : ٥٤)

انه يســير بمعونة الله ، وينظر بنور الله ، ويقاتل بسيف الله ، ويرمى بقوة الله :

﴿ فلم تقتلوهــم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .. ﴾ .
(الانفال : ١٧)

ان المؤمن لا يستبعده منطق المـادة ، ولا لغة الأرقام ، ولذا يقدم من ألوان التضحيات وضروب البذل والفــداء ما يعتبره بعض الناس تهورا أو جنونا .

(جـ) الاخلاص فى القــول والعمــل :

ومن مظاهر هــذه القوة ، اخلاصه القول والعمل والنية لوجــه ربه .. فتراه يعمل الخير ، ويحارب الشر ، وان لم يكن له فيه نفــع مادى ولا هوى شخصى . لا يهمه الشــهرة أو الجاه أو رضا الناس . بل يؤثر الخفــاء على الشــهرة ، وعمل السر على عمل العلانية ، تجنبا

للرياء ، وبعداً بالنفس عن المزالق ، متمنيا أن يكون ممن يحبهم الله ، من الأبرار الأتقياء ، محاولا أن يكون كالجذع من الشجرة يمدها بالغذاء وهو فى باطن الأرض لا تراه العيون ، وكالأساس من البنيان ، يختفى فى الأعماق وهو الذى يمسك البناء أن يزول .

ومن مظاهر هـذه القوة عند المؤمن وضوح خطته ، واستقامة طريقته وثباته عليها ، لا يغريه وعد ، ولا يثنيه وعيده ، ولا ينحرف به طمع متسلط أو هوى جائر ، أو شهوة طاغية . فهو دائما داع الى الخير . ثائر على الشر ، آمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، هاد الى الحق والعدل ، مقاوم للباطل والظلم ، يغير المنكر بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان .

(د) التحرر من الخوف والحرص :

ومن ثمار هـذه القوة التحرر من الخوف والحرص .. فلقد رأينا الناس لا يضعف نفوسهم شيء كالحرص على الحياة وان تكن ذليلة ، والهرب من الموت وان كان كريما ، ولا يغرس فيهم القوة شيء كالاستهانة بالحياة ، والاقبال على الموت فى سبيل الحق الذى يعتقدونه ولا شيء كالايمان بالله وبالخلود يهون على الانسان لقاء الموت وفراق الحياة .

والمرء اذا هانت عليه الدنيا ، ولم يبال بالموت .. هان عليه جبابرة الأرض ، وعظماء الناس ، ونظر الى الذهب كما ينظر الى الحجر ، والى السيف كما ينظر الى العصا .

(هـ) الاستخفاف بالجبابرة والطغاة :

ولقد برزت هـذه القوة فى مقاومة المؤمنين للطغاة فى الداخل ، والغزاة من الخارج ، ورأينا ذلك بارزا للعيان فى أمثلة شتى .. فى القديم والحديث ...

ان التصديق بالحق واعلانه عنصر ضرورى للحياة الاسلامية . فان فصل عنها فقدت أكبر ما تمتاز به ، لأن الاسلام أسس قومية المسلم

عليه ، وجعلهم شهداء الحق على العالم كله . فكما يجب على الشاهد الا يتوانى فى أداء فرضه بعصبية أو بلاء ، بل يصدع حيثما كان ، ولو لاقى دونه الموت .

ولهذا نجد « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » من أكبر الفرائض الاسلامية .. فالتوحيد أساس الاسلام وقطب رحاه . والتوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون الا لله الواحد الصمد العظيم ، أما غيره فلا يخاف منه ولا يخشع له ، وان من يخشى غير الله فهو مشرك به ، وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة ، وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبدا .

فالاسلام من أوله الى آخره دعوة عامة الى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق . والقرآن الكريم يكرر :

﴿ .. ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا ﴾ .

(الاحزاب : ٣٩)

﴿ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله .. ﴾ .

(التوبة : ١٨)

﴿ .. ولا يخافون لومة لائم .. ﴾ . (المائدة : ٥٤)

﴿ أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ . (الزمر : ٣٦)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

(رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه)

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ العهد من أصحابه أينما كانوا .

(متفق عليه)

٨ ـ الرحمة :

الانسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء ، والحجر الصلد ، فان

حقيقة الانسان ليست فى هـذا الغلاف الطينى من لحم ودم وعظم ، وانما هى تلك اللطيفة الربانية ، والجوهرة الروحية ، التى بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر ويتألم ويرحم ، وهى القلب الحى .

ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب حى مرهف لين رحيم ، يتجاوب به مع الأحداث والأشخاص ، فيرق للضعيف ، ويألم للحزين ، ويحنو على المسكين ، ويمد يده الى الملهوف . وبهذا القلب الحى الرحيم ينفر من الايذاء ، ويصبح مصدر خير وبر وسلام لما حوله ومن حوله .

● **رحمة المؤمن من رحمة الله تعالى :**

المؤمن انسان ذو قلب رحيم ، لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالى ، وأن يكون له حظ من أسمائه الحسنى .

ومن أوضح الأخلاق الالهية « الرحمة » التى وسعت كل شيىء ، وشملت المؤمن وغير المؤمن ، والبر والفاجر ، واستوعبت الدنيا والآخرة . وقد قرب الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه هـذا المعنى على طريقته فى انتهاز الأحداث والمناسبات فرصا لغرس المبادىء والمعانى التى يريدها .

ومن أبرز أسماء الله الحسنى اسما « الرحمن الرحيم » ، وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة « الله » والمؤمن بالقرآن كلما تلا كتاب الله أو بدأ بسورة منه ، افتتحها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » فى مائة وثلاث عشرة سورة منه . وحسبنا أن يردد المؤمن هذين الاسمين فى صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة فى اليوم .. فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمـد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾ . (الفاتحة : ١ ــ ٣)

وهى سبع عشرة ركعة فى الصلوات الخمس المفروضة على المسلم فى يومه ، فاذا أدى السـنن زاد ضعف ذلك ، فاذا رغب فى النافلة ؛ زاد ما شـاء الله أن يزيد .

وحظ العبد من اسم « الرحيم » : ألا يدع فاقة لمحتاج الا ويسدها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيرا فى جواره الا ويقوم بتعهده ودفع فقره اما بماله أو جاهه أو الشفاعة الى غيره ، فان عجز عن جميع ذلك ، فيعينه بالدعاء ، واظهار الحزن ، رقة عليه وعطفا .

● من لا يرحم لا يرحم :

المؤمن يعتقد أنه دائما فقير الى رحمة الله تعالى ، فبهذه الرحمة الالهية يعيش فى الدنيا ويفوز فى الآخرة . ولكنه يوقن أن رحمة الله لا تنال الا برحمة الناس :

« انما يرحم الله من عباده الرحماء » ، « ومن لا يرحم لا يرحم » .

« ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »(۱) .

ورحمة المؤمن لا تقتصر على اخوانه المؤمنين ــ وان كان دافع الايمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها ــ وانما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعا . وقد قال رسول الاسلام لأصحابه :

« لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم . قال : انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » .

(رواه الطبرانى)

ومن صفات المؤمنين فى القرآن :

﴿ .. وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ . (البلد : ١٧)

● من آثار الرحمة فى المجتمع الاسلامى :

لقد برز أثر ذلك الخلق العظيم فى العلاقات الاجتماعية الداخلية فى المجتمع الاسلامى .. فرأينا المجتمع المسلم تسوده عواطف كريمة ومشاعر نبيلة ، كلها تفيض بالرفق والرحمة ، وتتدفق بالبر والخير . وتجلت هذه المشاعر والعواطف فيما عرف بنظام « الوقف الخيرى » عند المسلمين .

---

(۱) الايمان والحياة « مرجع سابق » : ص ٢٤٦

فقد مضى المواسون من المؤمنين ــ بدافع الرحمة التى قذفها الايمان فى قلوبهم ، والرغبة فى مثوبة الله لهم ، والا ينقطع عملهم بعد موتهم ــ ينفقون أموالهم كلها أو بعضها على اطعام الجائع ، وسقاية الظمآن ، وكسوة العريان ، وايواء الغريب ، وعلاج المريض ، وتعليم الجاهل ، ودفن الميت ، وكفالة اليتيم ، واعانة المحروم ، وعلى كل غرض انسانى شريف . بل لقد أشركوا فى برهم الحيوان مع الانسان .

٩ ــ الايمان والانتاج :

ونعنى بالانتاج هنا : الانتاج الاقتصادى بخاصة ، والانتاج المادى والمعنوى بعامة ، ذلك أن بعض الناس يخيل اليه أن الايمان بالدين وعقائده قد يؤخر عجلة الانتاج أو يعوقها فى سيرها وحركتها ، بما يضعف فى النفوس من حب الحياة والرغبة فى العمل المادى ، وبما يلقيه فى قلوب الناس أن الانسان مسير لا مخير ، وأن الحياة الدنيا لا تستحق العمل والاهتمام . لكم يخسر المجتمع ، وتتأخر الحياة ، اذا شاع فيها هذا اللون من الايمان .

وهذه أوهام أشاعها الجهل عن الدين والايمان ، والحقيقة أن الايمان أعظم دافع للانتاج لو تأمل الناس وأنصفوا . فالانتاج لا ينمو ويزداد الا بما يبذل الناس من جهد وعمل ، وما يصحب هذا العمل من اتقان . ولا يتحقق هذا وذاك الا فى جو من الأمانة والاخلاص للعمل . وذلك لا يكون الا بباعث قوى ، وحافز غلاب . فهل هناك باعث أقوى تأثيرا من الايمان ؟

● الايمان والعمل :

ان الايمان الصادق ليس مجرد ادراك ذهنى أو تصديق قلبى غير متبوع عملى فى الحياة .. كلا ، انه اعتقاد وعمل واخلاص .. ومهما اختلف علماء الكلام والجدل فى العقائد حول مفهوم الايمان وصلة العمل به .. فانهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الايمان الكامل .

وقد ذكر القرآن الكريم الايمان مقرونا بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آياته ، ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل «الصالحات» ، وهى كلمة جامعة من جوامع القرآن تشمل كل ما تصلح به الدنيا والدين ، وما يصلح به الفرد والمجتمع ، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معا .

● دافع المؤمن الى العمل دافع ذاتى :

فالمؤمن بالدين عامة وعقيدة الاسلام خاصة ، لا يساق الى العمل الدنيوى سوق القطعان . لا يدفعه اليه قهر أو ضغط خارجى أو رقابة من سلطة تنفيذية تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان أو عذاب الهون ، كما هو معروف فى بعض الأنظمة السياسية .

وانما يندفع المؤمن الى العمل بحافز من نفسه ، وباعث من ذاته ، وبايحاء ينبعث من داخله . ذلك الباعث الذاتى هو الايمان بالله وبرسالة السماء ، وبمهمته فى عمارة الأرض والسيادة على الكون .

ان المؤمن يوقن أن السعادة فى الآخرة والنجاح فى الدنيا موقوف على العمل . والجنة فى الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ ، بل هى لأهل الجد والعمل والاتقان . قال تعالى :

﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ .

(الزخرف : ٧٢)

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون ﴾

(السجدة : ١٧)

● الفوز فى الآخرة بالعمل لا بالأمانى :

لقد هدمت عقيدة الاسلام ذلك الطمع والأمانى الفارغة التى جعلت صنفا من الناس يحسبون الجنة حكرا لهم ، أو عقارا سيتوارثونه عن الآباء والأجداد ، يستحقونها بمجرد الانتساب الى دين معين أو تنظيم خاص .

أبطل الاسلام هذه الدعاوى المريضة ، ورد الأمر كله الى صدق الايمان وحسن العمل :

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى ، من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

(البقرة : ١١١ – ١١٢)

وبهذا رسم الطريق الى الجنة : اسلام الوجه الى الله واحسان العمل .

ولقد قال المسلمون : نحن أتباع محمد خاتم النبيين وخير أمة أخرجت للناس . ولم يدع القرآن الكريم هؤلاء لدعاواهم ، فنزلت آياته حاكمة فاصلة ، قاضية عادلة ، تخاطب المسلمين فى صراحة وجلاء :

﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ .

(النساء : ١٢٣ – ١٢٤)

● النجاح فى الدنيا بالعمل :

ولا يذهب الوهم بأحد ، فيحسب أن ارتباط السعادة والفوز بالعمل مقصور على الآخرة وحدها ، فان قوانين الله فى الجزاء واحدة ، ورب الدنيا والآخرة واحد – سبحانه – فالله تعالى يقول :

﴿ .. انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ . (الكهف : ٣٠)

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

(الزلزلة : ٧ ، ٨)

وسنة الله – التى أخبرنا القرآن الكريم أنها لا تتبدل ولا تتحول – لا تسمح لفارغ أو قاعد أو كسول أن يظفر بما يريد ، أو يحقق ما يأمل . بل ان سنن الله فى الدنيا لا تفرق فى الجزاء على العمل بين مؤمن وغيره ..فمن عمل أجر ، ومن قعد حرم ، مهما كان دينه أو اعتقاده.

وبهذا يندفع المؤمن الى العمل دائما ، حتى لا يصادم سنن الله فى الكون فتصدمه ، فيكون من الهالكين •

● **المؤمن يخشى الله فى عمله فيتقنه :**

والمؤمن لا يكتفى بالاندفاع الذاتى الى العمل ، بل يهمه أن يجيده ويتقنه ، لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه فى عمله ، فى أى حال من أحواله ، وأنه تعالى : « كتب الاحسان على كل شيء » •

(حديث صحيح رواه مسلم)

وقد فسر نبى الاسلام هذا الاحسان فى جانب العبادة فقال : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » •

(جزء من حديث جبريل المشهور)

وهذا هو شعور المؤمن فى كل عمل من الأعمال ــ لا فى العبادة وحدها ــ أن يؤدى العمل كأنه يرى الله ، فان لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه ، وشعار المؤمن دائما فى أدائه لعمله : انى أرضى ربى •

وربه لا يرضيه منه الا أن يقوم بعمله فى صورة كاملة متقنة ، وهذا ما علمه نبى الاسلام للمؤمنين : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » • (رواه البيهقى)

وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الانتاج وهما : الأمانة ، والاخلاص ، وهما فى المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال • قال تعالى :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ •

(التوبة : ١٠٥)

والمؤمن ــ كما عرفنا ــ يتمتع فى حياته بسكينة النفس ، وطمأنينة القلب ، وانشراح الصدر ، وبسمة الأمل ، ونعمة الرضا والأمن ، وروح

الحب والصفاء • ولا ريب أن لهذه الحالة النفسية أثرها في الانتاج • فان الانسان الشارد أو المضطرب أو القلق أو اليائس أو الحاقد على الناس والحياة ، قلما يحسن عملا يوكل اليه ، أو ينتج انتاجا مقنعا مرضيا •

والمؤمن الصادق الايمان يقف عند حدود الله ، وينأى بنفسه عن ارتكاب الموبقات ، أو الانغماس في أوحال المحرمات ، أو ارسال العنان للشهوات • ان ايمانه يأبى عليه أن يفرغ طاقته في لهو حرام •

* * *

تنمية الشخصية المنتجة

• مفاهيم نفسية :

اولا : ذكر « مازلو »[1] أن « الشخص المحقق لذاته » والذى يكون صورة للشخصية السوية المنتجة ، يتميز بعدد من السمات ترمز الى عملية تحقيق القوى الكامنة الفطرية في الشخص • وفي رأى « مازلو » أن الشخص لا يستطيع تحقيق ذاته حتى يكون لديه تاريخ غنى باشباع حاجات أساسية معينة مثل : اشباع الحاجات الفسيولوجية ، والأمن ، والانتماء ، والاعتراف والتقدير ، واذا أشبعت هذه الحاجات اشباعا كافيا ، فانه يستطيع أن يوجه طاقاته لمهمة تحقيق الذات — كالانتاج العلمى ، أو العمل الفنى ، أو العمل التنظيمى • والشخص المحقق لذاته — كما يصفه « مازلو » من عينة من أناس حقيقيين استطاعوا أن يحققوا ذواتهم في حياتهم العملية — يتصف بهذه الخصائص :

١ — أنه يتقبل ذاته والآخرين والعالم الواقعى الطبيعى المحيط به •
٢ — أن له اتجاها واقعيا •
٣ — أنه على قدر كبير من التلقائية •
٤ — أنه يتمركز حول المشاكل بدلا من أن يتمركز حول ذاته •
٥ — أنه على قدر من الاستقلال والحاجة الى الخصوصية •

---

(1) A. Maslow ; Motivation and Personality. (N. Y. : Harper, 1954). Ch. 12 .

٦ — أنه يتصف بالاستقلال الذاتى والاستقلال عن الآخرين .

٧ — أن تقديره للأفراد والأشياء متجدد ، دون نمطية جامدة .

٨ — أنه يتوحد بالبشرية جمعاء .

٩ — علاقاته حميمة مع أشخاص قليلين يكن له الحب العميق ذات طابع انفعالى عميق وليس سطحيا .

١٠ — اتجاهاته وقيمه ديمقراطية يغلب عليها السماحة والتقبل .

١١ — لا يخلط بين الغاية والوسيلة .

١٢ — يولع بالخلق والانشاء والابتكار بدرجة كبيرة .

١٣ — يقاوم الامتثال للثقافة والخضوع لها خضوعا أعمى .

١٤ — روح المرح لديه فلسفية وليست ذات طابع عدائى .

* * *

ثانيا : حاول « كارل روجرز »[١] مؤسس مدرسة الارشاد النفسى غير المباشر (المتمركز حول العميل) — أن يوضح الخصائص العامة لصاحب الشخصية السوية الذى تخلص من مشاكله ويسير فى طريق الانتاجية فى الآتى :

١ — يكون الشخص متفتحا ومتقبلا لخبراته مهما كان نوعها ، ويسعى الى ادراك مشاعره الداخلية أيا كانت .

٢ — يعيش بشكل وجودى ، أى لديه قناعة ذاتية بأن كل لحظة فى الخبرة تعنى شيئا جديدا . وهذا يعنى أن الشخص لديه شعور داخلى بأنه يتحرك وينمو .

٣ — يجد الشخص فى تركيبه العضوى وسيلة موثوقا بها للوصول الى السلوك الأكثر اشباعا فى كل موقف واقعى . وهو يفعل ما يشعر بأنه الصواب فى اللحظة العاجلة ، وهو يعتمد على التكوين الكلى المتكامل لذاته لتوجيه سلوكه معتمدا على خبراته .

* * *

---

(١) سونى جورارد (ترجمة حسن الفقى وسيد خير الله) ، الشخصية بين الصحة والمرض . (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣) ، ص ١٣ — ١٤

ثالثا : ترى « هورنى »[1] أن الطفل اذا لم يستطع الحصول على الحب فقد يعمل على تحقيق القوة والسيطرة على الآخرين • وبهذه الطريقة يعوض احساسه بالعجز ، ويجد منفذا للعدوان ، ويستطيع أن يستغل الآخرين • وقد يصبح شديد الميل الى التنافس ، ويصبح الكسب عنده أهم بكثير مما يحققه من انجاز •

وتقدم « هورنى » قائمة من عدة حاجات تكتسب نتيجة محاولة العثور على حلول لمشكلة اضطراب العلاقات الانسانية • وتسمى هذه الحاجات « عصابية » لأنها حلول غير منطقية للمشاكل ، وهى :

ـ **الحاجة للحب والتقبل :** وتتميز هذه الحاجة بالرغبة فى ارضاء الآخرين وعمل ما يتوقعونه ، دون تفرقة أو تمييز • فالشخص يعيش من أجل الفكرة الطيبة عنه لدى الآخرين ، كما أنه يكون بالغ الحساسية لأية علاقة قائمة على النبذ أو عدم التقبل •

ـ **الحاجة الى « شريك » يتحمل مسئولية الفرد :** صاحب هذه الحاجة يكون طفليا ، فهو يسرف فى تقدير الحب ويخاف أشد الخوف أن يترك وحيدا •

ـ **الحاجة الى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيقة :** مثل هذا الشخص يقنع بالقليل ، وليست له مطالب ، ويفضل أن يبقى مغمورا مفضلا التواضع على كل ما عداه •

ـ **الحاجة الى القوة :** تفصح هذه الحاجة عن نفسها فى الرغبه الشديدة فى السلطة وحبها لذاتها ، فى اطار أساسه عدم احترام الآخرين والتمجيد الأعمى للقوة واحتقار الضعف • وقد يلجأ من يخافون استخدام القوة السافرة الى محاولة السيطرة على الآخرين عن طريق الاستغلال الذهنى والتفوق •

ـ **الحاجة الى استغلال الآخرين :** حيث يسعى الفرد الى استغلال الآخرين لمصلحته الشخصية •

---

(1) Karen Horney ; Self - Analysis , (N. Y. : Norton, 1942)

– **الحاجة الى المكانة المرموقة :** يتحدد تقدير الشخص لنفسه بمبلغ ما يناله من تقدير اجتماعى .

– **الحاجة الى الاعجاب الشخصى :** ان من لديه هذه الحاجة يكون لنفسه صورة متضخمة ، ويرغب فى أن يكون محط الأنظار والاعجاب .

– **الحاجة الى الاكتفاء الذاتى والاستقلال :** ان هذا الشخص لاخفاقه فى محاولته العثور على الدفء والعلاقات المشبعة بالآخرين ، يعزل نفسه عن الآخرين ، ويرفض أن يربط نفسه بأى شخص أو بأى شىء ، ويصبح وحيدا .

– **الحاجة الى الكمال وعدم التعرض للهجوم أو النقد من الآخرين :** ان الشخص الذى يعانى من هذه الحاجة يدفعه الخوف من الوقوع فى الخطأ الذى يعرضه للنقد الى أن يحصن نفسه من الأخطاء حتى لا يتعرض لنقد الآخرين أو هجومهم . انه ينقب دائما عن عيوبه حتى يخفيها قبل أن تتضح للآخرين .

وفى مرجع آخر(١) تدرج « هورنى » هذه الحاجات تحت ثلاث فئات هى :

١ – التحرك نحو الناس ، كالحاجة الى الحب .
٢ – التحرك بعيدا عن الناس ، مثل الحاجة الى الاستقلال .
٣ – التحرك ضد الناس ، مثل الحاجة الى القوة .

وتمثل كل فئة من هذه الفئات اتجاها أساسيا نحو الذات ونحو الآخرين . وتجد « هورنى » فى هذه الاتجاهات المختلفة الأساس للصراع الداخلى .

* * *

رابعا : يحدد « اريك فروم »(٢) خمسة تصنيفات للشخصية وفقا للخلق السائد فى كل منها :

---

(١) K. Horney ; Our Inner Confliets . (N.Y. Norton, 1945)

(٢) E.Fromm; Man For Himself . (N.Y. : Rinehart' 1947) , pp, 62 — 107.

١ - **الشخصية التلقائية** : يتسم أصحاب هذه الشخصية بالنزعة التواكلية « الاتكالية » السلبية . فالشخص ذو الخلق التلقائي يعتقد أن كل شيء يحتاجه أو يرغب فيه يجب أن يأتيه ، دون أن يبذل من جانبه أي جهد للحصول عليه ، بل ينبغي أن يتوفر له بطريقة سلبية استسلامية . ومثل هذا الشخص يشعر أنه ناقص الكفاءة ، ويترامى على أي شخص يمنحه شيئا من العاطفة أو الحب . وهذا الشخص سلبي بوجه عام ، ويشعر بالعجز اذا ما ترك وحده . وتتصف الشخصية التلقائية بروح الصداقة والتفاؤل ، ولكنها تتعرض للقلق عندما ينضب معين مساعدة الآخرين لها أو تهدد لسبب أو لآخر .

٢ - **الشخصية الاستغلالية** : يتسم أصحاب الشخصية الاستغلالية بأنهم يحاولون أن يحصلوا على كل شيء من الآخرين بالحيلة أو القوة . ويعتبر الشخص الاستغلالي الجميع هدفا له ولاستغلاله ، ويجد في كل ما يستطيع الاستيلاء عليه جاذبية أكبر وأدعى للسرور مما يستطيع هو نفسه أن ينتجه بجهوده الخاصة . وتتجه هذه الشخصية نحو العدوان والاحتيال على الآخرين . وبينما نجد الشخص التلقائي شديد الثقة بالغير ، نرى الاستغلالي شديد الشك والارتياب ، غيورا حسودا ، دائم التهكم والاستخفاف بالآخرين .

٣ - **الشخصية الادخارية** : يتسم أصحاب الشخصيات ذات الخلق الادخاري بايمان ضعيف في أي جديد يمكنهم الحصول عليه من الخارج ، وأن شعورهم بالطمأنينة يعتمد على الادخار والتوفير ، فهم يحتفظون بما يملكون ويشعرون بأن الانفاق يهدد حياتهم ويثير قلقهم . وهم بخلاء في أموالهم وأفكارهم وشعورهم ، والحب في نظرهم يعني التملك . وهم غير قادرين على التفكير الخلاق ، لا يؤمنون بالمستقبل ، ولكنهم شديدو التعلق عاطفيا بالماضي ، كثيرو الوساوس والظنون . والشخص الادخاري يكون عادة مرتبا منظما ، دقيق المواعيد ، ولا يتحمل أن يرى الأشياء في غير موضعها . وهو يملك قدرا محدودا من القوة أو المقدرة العقلية ، ويرى أن هذه الكمية تتناقص بالاستعمال ولا يمكن تعويضها .

ويرى فى رفع الكلفة بينه وبين الآخرين شيئا مهددا له ، وفى نفس الوقت يرى فى الابتعاد عنهم أو فى اقتناء الأشياء مجالا للأمن والطمأنينة .

٤ ـ **الشخصية المسواقة** : أصحاب هذا النمط من الشخصية يقربون من شخصية الباعة .. فهم يشعرون أن شخصياتهم تباع وتشترى ، وتتأثر بمتطلبات الآخرين المتقلبة ، وأن الناجح فى نظرهم هو من له قيمة وأن الفاشل هو من لا قيمة له ، واذا فهم يتقلبون وفقا للكفة الراجحة ، وهذا يعنى فقدان الشخصية المتزنة المتسقة . ولذلك فان أصحاب الشخصية المسواقة غالبا ما يشعرون بالفراغ والقلق .

ان هذه الأنماط الأربعة السابق ذكرها تمثل شخصيات غير سوية أو « غير منتجة » .

٥ ـ **الشخصية المنتجة** : يرى « فروم » أن الانسان ليس كائنا عاقلا واجتماعيا فحسب ، بل هو كائن « منتج » أيضا ، ولا بد له من أن ينتج كى يعيش . فمن خلال استخدامه لعقله وخياله يستطيع أن يحول المواد التى يجدها الى منتجات . ولا يقتصر مفهوم « فروم » للانتاجية على الانتاج المادى فحسب ، بل ان الانتاجية بأوسع معانيها هى مقدرة الانسان على استخدام قواه العقلية والعاطفية والحسية والافادة من امكاناته الكامنة فيه .

واذا استطاع الشخص أن يطور قواه ، فان هذا يعنى أنه أصبح شخصا منتجا . وهذا بدوره يعنى أن الشخص قادر على أن يفكر تفكيرا استقلاليا وانتقاديا ، وأن يشعر ويحس بما حوله ويتأثر به ، وأن يحترم نفسه ورفاقه ، وأن يتمتع بمباهج الحياة دون قلق أو كبت ولكن باتزان ، وأن يجد متعة فى الأعمال الطبيعية والفنية . وبعبارة أخرى ، فهو يستطيع أن يثبت ذاته ويحققها ، وأن يستطيب الحياة ، لا أن يعانيها .

وهنا يربط « فروم » بين الحب وبين الخلق المنتج ، ويذهب الى مناقشة الحب مناقشة موضوعية هادئة بعيدة عن عوامل الخلط واللبس .. فيرى أن كلمة الحب تستعمل للدلالة على كل شعور تقريبا

لا يصـل الى درجة الكره أو الاشمئزاز ، فيتدرج من حب الشخص « للسيجارة » الى حبه للموسـيقى السيمفونية ، ومن العطف الهادىء الى أشد مشاعر الصلة الوثيقة • والواقع يخالف ذلك تماما •• فالحب هو شعور محدد من الصعب تحقيقه • والحب الحقيقي متأصل فى قـوة الانتاج ، ولذلك يمكن نسـميته « بالحب المنتج » • ومع أن أهـداف الحب تختلف ، الا أنه يمكن القول بأن بعض العناصر الأساسية يمكن أن تعتبر من مميزات أنواع الحب المنتج •

ان الحب هو عمل يتضمن احترام شـخص آخر والاهتمام به • وأن الاهتمام بشخص ما يعنى السعى لتشجيع نموه وتحسينه والاحجام عن تأخيره أو هـدمه • فالحب يتميز بالمسـئولية والمعـرفة • ومعنى المسئولية هو أن يكون المرء مستعدا أن يعتبر نفسه مسئولا عن صـالح الفريق الآخر ، وأن يفرض على نفسه مساعدته كى يزدهر عقليا وعاطفيا • وأخيرا كى يساعد أحـدنا الآخر لابد له من معرفته وفهمه • ثم يقرر « فروم » أنه عندما يسـود الاتجاه الانتاجى لدى شخص ما ، عنـدها يتحول أى من عناصر الاتجاهات الأربعة غير المنتجة التى قد توجد فى الشخص وتتخذ مزايا ايجابية مساعدة للحياة •• فالميل البسيط مثلا نحو الاستسلام والخضوع يصبح اخلاصا وولاء ، والعناد يصبح عزما وثباتا ، واستغلال الفرص يصبح قصدا وعزيمة[١] •

وأخيرا يعتقد « فروم » أن تركيب الخلق فى الشخصية الناضجة الموحدة المنتجة يشكل مصدر الفضيلة وأساسها وبعبارة أخرى ، أن العيش بطريقة منتجة هو العيش فى نطاق الفضـيلة • أما الرذيلة فتنشـأ عن تشويه الذات وعدم مبالاة الانسان بنفسه وازدرائه لها وتحقيره اياها •

وفى مرجع آخر[٢] يرى « فروم » أن المرء اذا لم يسـتغل جهد غيره ، لا بد له من أن يعمل بنفسه كى يعيش • ومهما تكن طريقته فى

---

(١) مصطفى فهمى ، علم النفس الاكلينيكى . (القاهـرة : مكتبـة مصر ، ١٩٦٧) ، ص ٣٦٠ — ٣٦٢

(٢) Erich Fromm ; The Sane Society (N.Y. : Rinehart, 1955) . PP. 177 — 184

العمل بدائية أو ساذجة ، فانه يرتفع عن مستوى الحيوان ، لأنه يصبح بعمله « منتجا » ، تصديقا للرأى القائل بأن « الانسان كائن منتج » . ولا يقتصر العمل على كونه ضرورة للانسان لا مفر منها ، ولكنه ـ علاوة على ذلك ـ العنصر الذى يحرره من الارتباط بالطبيعة ويشكله ككائن اجتماعى مستقل . ويعمل الانسان على تشكيل ذاته وتعديلها أثناء عمله ، أى أثناء تشكيله للطبيعة الخارجة عنه وأثناء تعديله لها . وبذلك يخرج الانسان عن الطبيعة سيدا عليها ومسيطرا ، ثم يأخذ فى تنمية قدراته على التعاون ، والتعقل ، والاحساس بالجمال . انه بالعمل يفصل نفسه عن الطبيعة ، ويتحلل من وحدته الأصيلة بها ، ولكنه ـ فى الوقت ذاته ـ يتحد بها مرة أخرى متحكما فيها ومسيطرا عليها ومشكلا لها ، وكلما نما عمله نمت فرديته . وهو خلال تشكيله للطبيعة واعادة تصويرها يتعلم كيف يستغل قواه ويستخدمها ، ويزيد من مستوى مهارته ومن قدرته على الابداع . واذا نظرنا الى الصور واللوحات الجميلة التى صنعها الانسان على مر السنين ، أو تلك النقوش الجميلة التى ابتدعها . أو الى زراعة الأشجار والزهور والحبوب ، لوجدنا تعبيرا عن تطوير الانسان للطبيعة بعقله ومهاراته تطويرا فيه ابتكار وابداع وانشاء وتعبير عن الفن والجمال .

لقد كانت الحرف فى تاريخ أوروبا ـ وبخاصة كما تطورت عبر القرنين الثالث عشر والرابع عشر ـ تؤلف ظاهرة عامة من ظواهر التطور فى العمل الانشائى . فلم يكن العمل مجرد نشاط نافع ، لكنه كان كذلك نشاطا يحمل فى طياته رضا الانسان عن نفسه الى درجة كبيرة . وقد عبر « ميلر »[1] عن السمات الأصلية للحرف تعبيرا واضحا فى هذه العبارة : « لم يكن للعمل دافع سوى حب الانتاج وما يتعلق به من عمليات الانشاء . فكان لتفصيلات العمل اليومى مغزاها لأنها لا تنفصل فى عقل العامل عن انتاج العمل . وكان العامل حرا فى السيطرة

---

(1) C. Miller ; White Collar. (N.Y. : Oxford university press, 1951) , p. 220 .

على نشاطه العملى ، وصاحب الحرفة قادرا على أن يتعلم من عمله ، وأن ينمى قدراته ومهاراته ويستخدمها فى أدائها . ولم يكن بين العمل واللعب أو بين العمل والثقافة أى حائل ، فالوسيلة التى يتخذها صاحب الحرفة للحصول على عيشه تتحكم وتتغلغل فى طريقة عيشه كلها » .

ولما انهار بناء العصور الوسطى ، وبدأت طريقة الانتاج الحديثة فى الظهور ، تغير معنى العمل ووظيفته تغيرا أساسيا . فقد كانت الحرية كسبا جديدا للانسان يخشاه لأنه لم يألفه ، فتحكمت فيه الحاجة الى التغلب على شكوكه ومخاوفه بمضاعفة نشاطه . وكان تحريره يتوقف على نتيجة هذا النشاط من فشل أو نجاح ، فيشعر بالهدى أو بالضلال. وفى أكثر الأحيان أمسى العمل واجبا وعبئا ثقيلا على النفس بدلا من أن يكون لونا من ألوان النشاط الذى يمتع النفس ويشبعها ويرضيها . وكلما أمكنه كسب الثروة عن طريق العمل ، أضحى العمل وسيلة خالصة لتحقيق الثراء والنجاح ، وسببا فى انصراف المرء عن الاستمتاع بحياته ، وحلا من الحلول يلجأ اليه للفرار من احساسه بالوحدة والعزلة . ومهما يكن من أمر ، فان العمل بهذا المعنى لم يوجد الا للطبقة العليا والطبقة الوسطى ، التى تضم أولئك الذين يستطيعون أن يجمعوا شيئا من رأس المال ويستفيدون من عمل غيرهم . أما الغالبية العظمى من هؤلاء الذين لا يملكون سوى مجهودهم البدنى يقدمونه لكسب قوتهم ، فلم يعد العمل بالنسبة لهم سوى « شغل » أو نشاطا اجباريا . فالعامل فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان لا بد له من أن يعمل ست عشرة ساعة كى لا يموت جوعا ، وكان مجبرا على ذلك حتى يعيش . وعلى ذلك فالعمل فى بداية العصر الحديث ينقسم الى « واجب » بالنسبة للطبقة الوسطى ، و « شغل اجبارى » بالنسبة لأولئك الذين لا يملكون شيئا .

فماذا يحدث للعامل الصناعى فى هذا الجو الجديد ؟ انه ينفق أفضل نواحى نشاطه لسبع أو ثمانى ساعات كل يوم فى انتاج شىء ما . وهو بحاجة الى عمله ليكسب قوت يومه ، الا أن الدور الذى يقوم به

يتحتم أن يكون سلبيا • فهو يؤدى وظيفة صغيرة منعزلة منفصلة فى عملية انتاج كبرى معقدة محكمة التنظيم ، ولا يشهد قط انتاجه بكليته كمنتج • وهو لا يهتم بالانتاج ، وعليه أن يؤدى عملا بعينه ، ولكنه لا يسهم فى تنظيم العمل أو ادارته • فهو مجرد آلة من آلات الانتاج ، وأصبحت الآلة مسيطرة عليه بدلا من أن تكون فى خدمته •

خامسا : ينظر « يونج »[1] الى الذات على أنها معادلة للنفس أو الشخصية الكلية • ان الذات هى نقطة الوسط فى الشخصية ، تتجمع حولها جميع النظم الأخرى ، وهى تجمع هذه النظم معا وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات •

ان الذات هى هدف الحياة •• الهدف الذى يحاول الناس بلوغه دائما لكنهم نادرا ما يبلغونه • وهى مثل جميع الأنماط الأولية تحرك سلوك الانسان وتدفعه نحو البحث عن الكلية ، وبخاصة عبر الدروب التى يقدمها الدين • ان الخبرات الدينية الحق تصل فى اقترابها من الذات الى ما لا يصل بحال معظم الناس •

سادسا : قدم « آدلر » مفهوم « النفس الخلاقة » ، باعتبارها المحرك الرئيسى والسبب الأول لكل ما هو انسانى • ان الذات الموحدة ، الثابتة ، والخلاقة هى صاحبة السيادة فى بناء الشخصية • و « الذات الخلاقة » • يصعب وصفها ، ولكننا نستطيع أن نلمس آثارها ، انها شىء يحتل مكانا وسطا بين المنبهات المؤثرة فى الشخص والاستجابات التى يستجيب بها لهذه المنبهات • ونظرية «الذات الخلاقة» هى فى جوهرها أن الانسان يصنع شخصيته ويكونها ويبنيها •

ان « آدلر » كون نظرية انسانية فى الشخصية •• فقد أضفى على الانسان غيرية وانسانية وتعاونا وابتكارية وتفردا وفطنة ووعيا ، فأعاد الى الأذهان صورة للانسان أكثر امضاء وبعثا للأمل ، وأكثر

---

(١) هول ولندزى (ترجمة فرج أحمد فرج وآخرين) ، نظريات الشخصية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١)، ص ١١٨ — ١١٩

تكريما للانسان • ويتفق مفهوم « آدلر » عن طبيعة الانسان مع الفكرة الشائعة لدى العامة أن الانسان قادر على أن يكون سيد مصيره لا عبده[1] •

سابعا : قدم « أوتورانك » « مفهوم الارادة » •• فاعتبر أن الحياة نضال بين الخوف من الحياة والخوف من الموت ، ولذا فان نتاج هذا النضال هي وجود توازن بين قوى الدافعية في الفرد • « والارادة » هي القوة المتكاملة للشخصية • وأشار « رانك » الى أن مضمون الانسان من حيث هو علاقة حية نشطة بين ذاته وبين العالم هو ما يعنى به مصطلح « الارادة » • فالشخص الذى يستطيع أن يعطى وأن يأخذ ، وأن يغير وأن يتغير ، وأن يحول وأن يتحول ـ أى علاقة الشخص النشط بالعالم الخارجى ـ هى علاقة خلاقة • وفرد من هذا النوع ، يعمل ويتألم ويكافح ويبتدع ، هو ما يعنيه « بالارادة » • وهكذا يعنى « رانك » بمصطلح « الارادة » قوة تكامل الشخصية ككل • وهى نتيجة وجود الانسان على قيد الحياة ، وهى التطور أو النمو الضرورى للانسان[2] •

وهناك مبدأ يقول ان المرء لا يستطيع أن يحصل على كل شيء بدون جهد وبدون عقبات أو موانع ليتنازع معها ، وهذا هو المبدأ الأساسى فى « مفهوم الارادة » • فلقد وجدت الارادة لأن الانسان يعيش فى عالم يستلزم الكفاح والجهد فى سبيل العيش ، حيث تقابل كل حركة فيه بعائق سواء أكان ذلك العائق طبيعيا أم اجتماعيا ، وحيث يكون الفعل ورد الفعل مرتبطين معا ارتباطا وثيقا • ووجود العقبات والموانع ، يدل على المرحلة الأولى لتكوين الارادة • فهذه العقبات تقابل برد فعل مقاوم أو « بارادة مضادة » (Counter will) • وعندما

---

(1) A. Adler ; **The Practice and Theory of Individual Psychology** (N. Y. : Harcourt , 1927) .

(2) O. Rank ; Will Therapy and Truth and Reality (N. Y. : Knopf, 1945) .

يتخلى المرء عن اللجوء الى المقارنة ، ويكف عن قياس نفسه بمستويات الآخرين فانه يصل الى تكوين « الارادة الايجابية الحقيقية »(١) .

ثامنا : تدور اتجاهات « سوليفان » فى التحليل النفسى حـول « العلاقات الشخصية المتبادلة » . فهو قد ركز كل اهتمامه وأدار محور نظريته فى هذا الصدد عن « الفرد » . ومحـور نظريته هو « تكامل الكائن الحى مع الوسط الذى يعيش فيه » ، وهو التكامل الذى يعمل بصفة مستمرة . وهو يرى أن الكائن الحى ما هو الا تنظيم مسـتمر للذات يحدث فى اطار العالم الفسيولوجى / الكيميائى من خلال النشاط الوظيفى الذى يقوم به الفرد . ويقرر أن البقاء الانسانى فى الحيـاة يحتاج الى تغيير وتفاعل مستمر مع البيئة . والنقطة الرئيسية التى يهتم بها « سوليفان » هى الوحدة الوظيفية للذات التى تنمو خلال سياق تفاعلاتها وعلاقاتها المتبادلة مع الآخرين .

تاسعا : من وجهـة النظر « المهنية » ، ذكرت مراجع علم النفس الصناعى أن « الشخصية المنتجة » تتميز بالخواص الآتية(٢) :

١ ـ أن يكون انتاجها متميزا من حيث الكم والكيف ، أى تنتج أكبر عدد ممكن من الوحدات الانتاجية ، بحيث تتميز فى جودتها أيضا .

٢ ـ أن تختفى منها ـ الى حـد كبير ـ مظاهر السـلبيات التى تعرقل الانتاج ، مثل مظاهر التغيب والتأخير عن مواعيد العمل ، واساءة استخدام خامات الانتاج وأدواته وآلاته ، والتعرض لحوادث واصابات العمل ، والتمارض ، والشكاوى والمنازعات ، وما أشبه .

٣ ـ اذا ما أسـند اليها عمل رئاسى أو اشرافى أو ادارى تكون اداراتها لمرءوسيها ادارة رشيدة ، بحيث تهيىء مناخا اجتماعيا ونفسـيا

(١) P. Mullahy ; « Non - Freudian Analytic Theories » in B. Wolman (ed,) , Handbook of Clinical Psychology (N. Y- : Mc Graw - Hill, 1965) ,Ch. 15.

(٢) سيد عبد الحميد مرسى ؛ علم النفس والكفـاية الانتاجيـة . (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨١) ، ص ٢٨ ـ ٣٠

مناسبا للعمل ، بما يؤدى الى رفع معنويات العاملين ويساعدهم على أن يبذلوا أقصى طاقاتهم فى الانتاج ، مع تحقيق الاستقرار النفسى لهم فى عملهم وفى علاقاتهم المهنية والانسانية المتبادلة .

وقد تساءل عما اذا كان للشخصية المنتجة خصائص نفسية معينة . بحيث يمكن أن تساعدنا معرفتنا بها على تحقيق هذه الشخصية فى مجالات الانتاج المختلفة ؟ .. والاجابة عن هذا التساؤل هى أن هناك بالفعل خصائص نفسية معينة تساعد معرفتنا بها على تحقيق هذه الشخصية . ويمكن أن نحدد أهم هذه الخصائص فيما يأتى :

(أ) ملاءمة القدرات والاستعدادات والمهارات والخبرات الخاصة بهذه الشخصية لمتطلبات النجاح فى العمل . فكل عمل يستلزم توافر قدرات واستعدادات ومهارات وخبرات فيمن يؤديه حتى يستطيع أن يحقق الكفاية الانتاجية . وتختلف هذه القدرات أو الاستعدادات والمهارات من مهنة لأخرى ، كما يختلف الأشخاص أيضا من حيث توافر هذه الخصائص فيهم ، بمعنى أن الشخص الذى يصلح لأداء عمل معين لا يشترط أن يكون صالحا لانجاز عمل آخر يختلف عن الأول فى مستلزماته ومقتضياته .

(ب) توافر ميل نفسى فى هذه الشخصية نحو أداء هذا النوع من العمل ، بمعنى أن يفضل الشخص ممارسة هذا العمل عن غيره ، مع شعوره بالرضا والقناعة والاستمتاع عند أدائه للواجبات التى يتضمنها هذا العمل وسعادته للارتباط به ، مما يثير الدافعية للعمل والحماس له وتحقيق التوافق والاشباع المهنى .

(ج) توافر قدر مناسب من الصحة النفسية لهذه الشخصية . فالقدرة على العمل والانتاج ترتبط بالصحة النفسية للفرد ، بمعنى أن قدرة الفرد على العمل وأهليته للاتصاف بالشخصية المنتجة تشير الى استمتاع الفرد بصحة نفسية سليمة .

وتتوقف الكفاية الانتاجية الى حد كبير على اتقان الفرد لعمله .

ولا يتوقف هـذا الاتقـان على مجرد الاسـتعداد الفنى والاعـداد المهنى للفرد أو تهيئة ظروف العمل الملائمة ، بل انه يرتكز كذلك الى عوامل نفسية شتى منها : استمتاع الفرد بعمله ، وشـعوره بالانتماء للعمل والمؤسسة التى يعمل بها والتى ينبغى أن تهتم باشـباع حاجاته الأساسية ، كما ترتكز أيضا على فهم الفرد لقيمة عمله وأهميته ودوره فى الانتاج وارتباطه بالخطة العامة للانتاج • وما أكثر ما يكتنف ميدان الصناعة من مشكلات ينبغى ألا تحسم بحلول ارتجالية بل بحلول علمية سليمة تقضى عليها أو تخفف من حـدتها أو تحدد الوسـائل الصحيحة التى تؤدى الى ضبطها والسيطرة عليها • ويمكن حصر هذه المشكلات فى الآتى :

١ ــ **المواءمة المهنية** : ويقصد بها تكييف الشخص لعمله ، أى وضع الرجل المناسب فى العمل الملائم له الذى يستطيع أن يؤديه بنجاح لأنه يتناسب مع قدراته واستعداداته وخبراته ، والذى يرضى عنه ويميل الى ممارسته لأنه يتمشى مع رغباته ويشبع حاجاته ويتفق مع مستوى طموحه ومفهومه عن ذاته • ويشمل هذا المجال موضـوعات التوجيه المهنى ، والانتقاء المهنى ، والتأهيـل المهنى للمعوقين ، كما يتضمن موضـوع التدريب المهنى لتمكين الفرد من اتقان عمله واكتساب المهارات اللازمة للنجاح فى العمل •

٢ ــ **الهندسة البشرية** : ويقصد بها تكييف ظروف العمل لتلائم العامل ، وذلك بالبحث عن أفضل الطرق وأيسرها لأداء العمل ، وكذلك تعديل الظروف البيئية للعمل كالاضـاءة والتهوية والضوضاء وعوامل التعب والاجهاد والضجر ، وحوادث واصـابات العمل ووضـع برامج الأمن الصناعى •

٣ ــ **العلاقات الانسانية** : وتختص بدراسة الروح المعنوية للعاملين فى المؤسسات الانتاجية ، وطرق الاتصـال والتفاهم فيما بينهم وبين القائمين على ادارة العمل ، كما تدرس القيادة الادارية واثارة دافعيـة

العـاملين وحثهم على الانتـاج من خلال الحوافز المـادية والمعنـوية ومساعدة العاملين على حل مشكلاتهم •

ومن هذا يتضح أن علم النفس الصناعى يستهدف رفع مستوى الكفـاية الانتاجية للفرد أو لجماعة العمل ، أى تحقيق « الشـخصية المنتجة » • وذلك من خلال العمـل على حل المشـكلات الانسـانية المختلفة ، التى تتفشى فى المجال الصناعى ، حلا علميا سليما على أساس من المبـادىء والمفاهيم الانسـانية • وبعبـارة أخرى فان علم النفس الصناعى يسـتهدف تهيئة جميع الظروف المـادية والمعنوية التى تكفل أكبر انتاج وأفضله مع الاهتمام بتحقيق الاشباع المهنى للفرد بما يؤدى الى رضائه عن عمله ورفع كفايته الانتاجية •

* * *